د. نبيل فاروق

ملف المستقبل

مرئي جداً !!

روايات مصرية للجيب

آخر العمالقة

150



ملف المستقبل

فى مكان ما من أرض (مصر) ، وفى حقبة ما من حقب المستقبل ، توجد القيادة العليا للمخابرات العلمية المصرية ، يدور العمل فيها فى هدوء تام ، وسرِّية مطلقة ؛ من أجل حماية التقدُّم العلمى فى (مصر) ، ومن أجل الحفاظ على الأسرار العلمية ، التى هى المقياس الحقيقى لتقدم الأمم .. ومن أجل هذه الأهداف ، يعمل رجل المخابرات العلمية (نور الدين محمود) ، على رأس فريق نادر ، تم اختياره فى عناية تامة ودقة بالغة ..

فريق من طراز خاص ، يواجه مخاطر حقبة جديدة ، ويتحدى الغموض العلمى ، والألغاز المستقبلية ..

إنها نظرة أمل لجيل قادم ، ولمحة من عالم الغد ، وصفحة جديدة من الملف الخالد ..

ملف المستقبل .

د. نبيل فاروق

١ ـ القـــــادم ..

فرك مدير مركز الأرصاد الفلكية كفيه ، فى توتر بالغ ، وهو يقف فى حجرة الانتظار ، فى مقر رياسة الجمهورية ، أمام مدير مكتب الرئيس ، الذى تطلَّع إليه طويلاً فى صمت ، قبل أن يسأله فى هدوء مهذَّب :

ـ هل لى أن أعرف ، لماذا تطلب مقابلة السيد الرئيس بكل هذا الإصرار ، وعلى هذا النحو المباغت ، دون تحديد موعد سابق ؟!

ازدرد مدير مركز الأرصاد لعابه ، بنفس التوتر الشديد ، وهو يجيب :

ـ الواقع أننى قد سعيت أكثر من مرة ، لتحديد موعد لمقابلة سيادة الرئيس ، أو القائد الأعلى للمخابرات العلمية ، كما تقتضى التعليمات ، ولكننى لم .....

استوقفه مدير مكتب الرئيس ، وهو يقول فى اهتمام :

ـ كما تقتضى التعليمات ؟! وفقًا لمعلوماتى ، لا ينطبق هذا إلا على حالة واحدة .

ثم مال نحوه ، مستطردًا فى توتر شديد :

ـ خطر قادم من الفضاء الخارجي .

بدا من الواضح أن عبارته قد أصابت كبد الموقف مباشرة ، فقد تراجع مدير المركز بحركة حادة ، والتقط نفسًا عميقًا ، حاول أن يخمد به نيران توتره المتأججة ، قبل أن يجيب فى عصبية :

ـ لقد رصدنا بالفعل جسمًا قادمًا ، من الفضاء الخارجى ، وكل أجهزتنا تؤكد أنه قادم من أعمق أعماق الكون ، على الرغم من وجود معلومات محدودة عنه ، فى أرشيفنا الخاص .

بدا مدير مكتب الرئيس شديد الاهتمام والقلق ، وهو يقول :

ـ إذن فهناك خطر قادم من الفضاء الخارجى بالفعل !!

هز مدير المركز رأسه فى توتر مجيبًا :

ـ إنه سيصل إلى الأرض ، خلال اثنتى عشرة دقيقة فحسب ، فى حين لا يمكننا تقرير ما إذا كان يمثل خطرًا فعليًا أم لا ، وهذا يحتاج إلى قرار السيد الرئيس شخصيًا ؛ لأننا عاجزون عن العثور على القائد الأعلى للمخابرات العلمية .

لم يكد يكمل عبارته ، حتى لاحظ اضطرابًا محدودًا فى ملامح مدير مكتب الرئيس ، استغرق لحظة واحدة ، قبل أن يتماسك هذا الأخير فى سرعة ، قائلا فى حزم :

ـ انتظرنى دقيقة واحدة .. سأعرض الأمر على سيادة الرئيس فورًا .

ناوله مدير مركز الأرصاد ملفًا صغيرًا ، وهو يقول :

ـ دعه يطالع هذا .. سيساعده حتمًا على اتخاذ القرار .

التقط مدير المكتب الملف ، واندفع به نحو حجرة مكتب الرئيس ، وهو يقول :

ـ بالتأكيد .

راقبه مدير المركز ، وهو يختفى داخل مكتب الرئيس ، ثم التقط نفسًا عميقًا متوترًا ، وعقله يسترجع لحظة الاضطراب ، التى شملت مدير المكتب ، متسائلاً عما يمكن أن تعنيه ..

هناك حتمًا مشكلة ما ، تتعلق بالقائد الأعلى للمخابرات العلمية ..

مشكلة لا يمكن الإفصاح عنها .

فى الوقت الحالى على الأقل ..

ولكن من المؤكد أنها ترتبط بكل التوترات ، التى تخوضها البلاد ، لسبب لم يتم الإعلان عنه ، فى الآونة الأخيرة ..

سبب ، يجهله مدير المركز تمامًا ..

فعلى الرغم من أهمية موقعه ، وحساسية منصبه ، كان يجهل تمامًا كيف بدأ هذا الصراع الرهيب ..

ومن ناحيتنا ، يمكننا أن نعتبر أن البداية هي لحظة القضاء على ذلك المسخ الوحشي الرهيب ، الذي طوّر قدراته العقلية فوق الفائقة ، وسط رهبان جبال (التبت) ؛ لينفذ مخطط كراهية بغيض ، دفعه إلى محاولة السيطرة على العالم وتدميره ..

فبعد صراع طويل عنيف ، انتهى الأمر برصاصات تفليونية ، أطلقها (أكرم) على رأس المسخ ، ذي المخ المزدوج ؛ لتضع خاتمة للمعركة[*] .

أو هكذا تصوّر الكل ..

إلا أنها ، في واقع الأمر ، كانت مجرّد بداية جديدة ..

بداية لصراع أكثر عنفًا ..

وأكثر خطورة ..

وأكثر وحشية ..

ألف مرة ..

(*) راجع قصة (البقعة المظلمة) .. المغامرة رقم (١٤٦) .

المفاجأة ، وبعد أن تصوّر الكل أن أمره قد انتهى ، عاد ذلك المسخ للظهور ..

عاد أكثر قوة ..

وأكثر شراسة ..

عاد وقد تحوّل مخططه ، من السيطرة على العالم ، إلى السعي لإفنائه تمامًا .. وكان هذا يعني مواجهة رهيبة ..

مواجهة بلا حدود ..

وبوساطة الدكتور (محمد حجازي) ، كبير الأطباء الشرعيين ، عرف (نور) وفريقه أن خصمهم لم يلق مصرعه ، مع رصاصات (أكرم) ، وإنما فقد أحد مخيه فحسب ..

وظلّ المخ الآخر حيًا ..

ثم جاء فريق من العسكريين ؛ ليستولى على جسد المسخ ، الذي أعاده مخه السليم إلى الحركة ..

وليجري عليه تجربة رهيبة ..

رهيبة إلى أقصى حد ..

وفى مركز الأبحاث العسكرية ، وتحت إشراف فريق من أمهر العلماء ، وُلِدَ الخصم الجديد ..

مع قوة مضاعفة ..

قوة أمكنها أن تجتاح أمامها كل العقبات والحواجز ، وأن تسيطر على كل ما حولها ، حتى مركز الأبحاث العسكرية ، وفريق العلماء ..

ثم انطلقت نحو الهدف الأكبر ..

نحو إفناء البشر ..

كل البشر ..

ولأن رهبان (التبت) كانوا الدرع الواقى الذى يحمى (نور) وفريقه من قدراته العقلية المخيفة ، فقد انقضّ عليهم فى معبدهم ، وسحقهم بضربة واحدة ..

ضربة وحشية ..

وفقد فريق (نور) درعه الأساسى ..

وامتلك الخصم السيطرة ..

كل السيطرة ..

إلا أن الفريق لم يستسلم ..

بمهارة مدهشة ، صنعت (سلوى) و(نشوى) جهازًا مضادًا ، يمكنه أن يحد من قدراته العقلية المدهشة ..

ولكنه لا يمنع سيطرتها ..

وعلى الرغم من هذا ، راحت قوة ذلك الخصم الهائل تتطوّر ..

وتتطوّر ..

وتتطوّر ..

ومع تطوُّره ، بدأ يصنع صورًا وهمية قوية ، قادرة على خداع الكل ..

وبوساطتها ، سيطر على كل ما تبقى ..

على مركز الأبحاث العسكرى ...

وقيادته ..

ونائب رئيس مخابرات رياسة الجمهورية ، الذى أصدر أوامر إجراء تلك التجربة الرهيبة ، التى أعادته إلى الوجود ..

ثم على أخطر رجل فى البلاد ..

رئيس الجمهورية شخصيًا ..

وفى نفس الوقت ، الذى قرَّر فيه (نور) و(أكرم) ، أن يقتحما مركز الأبحاث العسكرية ، ليواجها خصمها مباشرة ، كانت الأحداث تتوالى على نحو رهيب سريع ..

الخصم قتل كل فريق العلماء ، المسئول عن استمراريته ، وتضاعفت قوته ، إلى الحد الذى جعله المسيطر الوحيد على مساره ..

وراهبان من رهبان (التبت) بقيا على قيد الحياة ، واستعادا وعيهما ، وتآزرا لإجراء اتصال قوى ..

اتصال قد يعنى مصير الأرض كلها ..

وفى مقر الفريق ، استقبلت الأجهزة موجة جديدة فائقة القصر ..

موجة تأتى من مصدر آخر ..

ومع الموجة ، على الرغم من وجود البرنامج المضاد ، راحت صورة هلامية تتكوَّن فى المكان ..

وتتكوَّن ..

وتتكوَّن ..

ثم كانت مفاجأة ..

مفاجأة مذهلة ..

مفاجأة لا تقل عما واجهه رجال مركز الأرصاد الفلكية ، مع كشفهم هوية ذلك الجسم ، الذى ينطلق عبر الفضاء ، متجهًا نحو الأرض مباشرة .

الجسم الذى أذهلتهم معرفة هويته ..

إلى أقصى حد ..

أما (نور) و(أكرم) ، فعلى الرغم من كل ما فعلاه ، ومن ثقة (نشوى) فى إيقاف نظام التأمين الإليكترونى لمركز الأبحاث العسكرية ، فى الوقت المناسب تمامًا ، فقد فشلت خطتهما فشلاً ذريعًا ..

وعندما استعاد (نور) وعيه ، كان مقيدًا إلى جدار قاعة الأبحاث الرئيسية فى حين تدلَّى (أكرم) مقيَّدًا من قدميه فى السقف ، وتحته مباشرة ، وداخل وعاء زجاجى كبير ، كان يستقر ذلك الخصم الرهيب ..

الخصم الذى بدا بشعًا رهيبًا مخيفًا ..

إلى أقصى حد(*) ..

« سيادة الرئيس سيستقبلك فورًا .. »

(*) لمزيد من التفاصيل ، راجع الأجزاء الثلاثة الأولى ، (الصخرة الكبرى) ، (عودة الشر) ، و(المخ) .. المغامرات رقم (١٤٧) ، (١٤٨) ، و(١٤٩) .

انتفض جسد مدير مركز الأرصاد ، مع عبارة مدير مكتب الرئيس ، التى انتزعته من أفكاره وتساؤلاته ، فاعتدل جسده فى توتر ، وهو يقول فى تلقائية عصبية :

ـ حمدًا لله .

وعلى الرغم من لهفته الشديدة ، لمقابلة الرئيس ، قبيل وصول ذلك الجسم إلى الأرض ، لم يكد مدير مركز الأرصاد يدلف إلى المكتب ، حتى سرت فى جسده قشعريرة باردة ، وراوده شعور مبهم بالخوف والقلق ، جعل الكلمات تتجمّد فى حلقه تمامًا ، في حين تطلّع إليه الرئيس مباشرة ، بنظرة لاتبعث على الارتياح أبدًا ، وهو يقول :

ـ متى رصدتم ذلك الشىء ؟!

أجابه الرجل فى توتر ، لم يستطع إخفاءه :

ـ منذ ما يقل قليلاً عن الساعتين يا ... يا سيادة الرئيس ..

لم يدر لماذا تردد لحظة ، قبل أن يلقبه بالرئيس !!

شىء ما فى أعماقه ، جعله يتصوّر لحظة أنه ليس من يبدو ..

ليس رئيس الجمهورية الحقيقى ..

شىء لم يجد له أى تفسير منطقى فى أعماقه ..

ولكن عينى الرئيس تألقتا ببريق وحشى مباغت ، وكأنما قرأ ما يدور فى ذهنه ، وهو يقول فى صرامة :

ـ ولماذا لم يتم إبلاغى فورًا ؟! لماذا أضعتم كل هذا الوقت ؛

بذل مدير مركز الأرصاد جهدًا خرافيًا ؛ للسيطرة على توتره ، وهو يجيب :

ـ لقد اتبعنا التعليمات يا سيادة الـ ... الرئيس .

مرة أخرى ، لم يستطع منع ذلك التردّد ، الذى يكتنف لسانه ، كلما هم بنطق اللقب ..

ولكنه فى هذه المرة ، استنفر كل إرادته ، ليندفع مواصلاً :

ـ حاولنا فى البداية إبلاغ القائد الأعلى للمخابرات العلمية ، وطلبت شخصيًا مقابلة سيادتكم أكثر من مرة ، ولكننا لم ننجح فى هذا أو ذاك .. لذا فقد أتيت بنفسى ، و ...

قاطعه الرئيس فى صرامة :

ـ فليكن .

أطبق الرجل شفتيه ، وازدرد لعابه فى توتر ، وهو يتطلع إلى الرئيس ، الذى تحرك فى انسيابية مدهشة ، نحو شاشات الرصد فى مكتبه ، وهو يسأله :

ـ متى سترصد أقمارنا الدفاعية ذلك الجسم ، وتبدأ فى التعامل معه ؟!

ألقى مدير المركز نظرة على ساعته ، قبل أن يجيب فى توتر :

ـ بعد دقيقة وتسع عشرة ثانية بالضبط .

أدار الرئيس عينيه نحو شاشات الرصد ، فاشتعلت كلها دفعة واحدة ، وبدأت تنقل صورة للفضاء المحيط بالأرض ، دون أن تلمسها أصابعه ، فانتفض جسد مدير مركز الأرصاد ، وهو يتراجع بحركة حادة ، هاتفاً :

ـ رباه ! ولكن كيف ....

قبل أن يتم عبارته ، تفكك جسد الرئيس فجأة ، وتحول إلى سحب من الدخان ، جعلت مدير المركز يصرخ ، بكل رعب الدنيا :

ـ ماذا يحدث هنا ؟!

قبل حتى أن تكتمل صرخته ، كان الدخان يتكثف مرة أخرى ، ليصنع صورة جديدة رهيبة ..

صورة ذلك العملاق الوهمى ..

عملاق بلا وجه ..

ومرة أخرى ، صرخ مدير المركز ..

صرخ ..

وصرخ ..

وصرخ ..

ولكنه ، ولسبب ما ، لم يسمع حتى صرخاته ..

لقد انطلقت ..

وترددت ..

وانفجرت ..

فى أعماقه فقط ..

ولم تتجاوز شفتيه ..

أبداً ..

وتراجع المدير ، بكل رعب الدنيا ، حتى التصق بالجدار ، وهو يحدق فى ذلك العملاق الوهمى ، الذى اقترب منه فى هدوء ، ثم مال نحوه ..

ومد يده إلى صدره ..

واخترقه ..

اخترقه فى نعومة ، كأية صورة وهمية شبحية ، و ...

وشهق مدير المركز ..

شهق مع ذلك الألم الرهيب ، الذى اعتصر قلبه .. ثم سحقه سحقاً ..

ومرة أخرى ، انتفض جسد المدير ..

انتفض انتفاضة تختلف عن كل ما سبقها ..

انتفاضة الموت ..

وفى نفس اللحظة ، التى سقط فيها الرجل جثة هامدة ، اندفع مدير مكتب الرئيس إلى الحجرة ، وحدق فى الجثة فى ذعر ، قبل أن يسمع صوت الرئيس وهو يقول فى صرامة :

- أرسل من يرفع هذه الجثة من هنا .

رفع الرجل عينيه إلى الرئيس ، وهو يرتجف ، متسائلاً فى هلع :

- ولكن ماذا ؟! ماذا حدث ؟!

تجاهلت صورة الرئيس الوهمية سؤاله تماماً ، وهى تقول ، بنفس صوت ولهجة وصرامة الرئيس ، المسجلة فى أعمق أعماق عقل الرجل :

- صلنى بوزير الدفاع فوراً ، واطلب من أطقم الحرس الجمهورى أن تستعد ..

وألقى نظرة على الصور ، التى يحويها ذلك الملف ، الذى أحضره مدير مركز الأرصاد ، قبل أن يضيف :

- فالمعركة ستكون عنيفة .

وعاد يستدير إلى شاشات الرصد ، التى تنقل مشهد ذلك الجسم ، وهو يقترب من الأقمار الدفاعية ، مكملاً :

- إلى أقصى حد .

وعلى الرغم من توتره العنيف ، وذعره الذى بلغ ما لم يبلغه قط ، لم يكن أمام مدير المكتب سوى أن يطيع أوامر من يبدو أمامه كالرئيس ، وإن لم يستطع منع فضوله من اختلاس النظر إلى شاشات الرصد ، وإلى تلك الصور ، التى تتصدر الملف ، الذى وضعه بنفسه ، على مكتب الرئيس ..

صور ذلك الجسم ، الذى يشق طريقه ، من أعمق أعماق الفضاء ، نحو كوكب الأرض مباشرة ..

الجسم الذى بدا مألوفًا بزيه الأحمر الزاهى ، ووجهه الأخضر الجامد ..

جسم (س ـ ١٨) ..

شخصيًا ..

أو آليًا ..

* * *

ذهول تام ، ذلك الذى سيطر على الموجودين فى مقر فريق (نور) ، وهم يحدقون فى تلك الصورة الهلامية ، التى تكونت وسط المكان ..

ودون استثناء واحد ، اتسعت عيونهم عن آخرها ..

(سلوى) ..

(نشوى) ..

(رمزى) ..

الدكتور (حجازى) ..

وحتى (مشيرة) ، على الرغم من العقار ، الذى أعطاها (رمزى) إياه ، والذى يُحبط معظم حواسها ..

فما حدث كان مذهلاً بالفعل ..

وإلى أقصى حد ..

« أنتم لاتحلمون يا رفاق .. »

ترددت العبارة فى عقولهم جميعًا ، فى آن واحد ، على الرغم من أنهم لم يسمعوا حرفًا منها بآذانهم ، فغمغمت (سلوى) :

ـ أهذا جزء من حرب الوهم .

« ليس وهمًا أيضًا .. »

ترددت العبارة الثانية فى أذهانهم أيضًا ، مع ابتسامة ملأت الصورة الهلامية أمامهم ، فهتفت (نشوى) فى مرارة :

ـ رباه ! إذن فهو أنت .. وأنت يا .. يا ....

قاطعها (رمزى) ، وكل حرف من كلمته يرتجف على شفتيه ، من فرط انفعال جارف :

ـ (محمود) ؟!

« نعم .. هو أنا يا رفاق .. »

تردد القول ، فى أعمق أعماق عقولهم ، فاختلجت قلوبهم فى صدورهم ، وهتفت (مشيرة) ، فى عمق عجيب :

ـ مستحيل !

شعر الكل بقلق شديد ، للأسلوب الذى نطقت به هتافها ، وبخاصة الدكتور (حجازى) ، الذى هتف :

- ولكن كيف ؟!

أجابته صورة (محمود) الهلامية ، عبر عقولهم جميعًا ..

« إننى أبذل جهدًا خرافيًا ، للوصول إلى هذه الحالة ، التى لا يمكننى مواصلتها طويلاً ، لذا استمعوا إلىّ جيدًا ، قبل أن تنفد طاقتى .. »

هتفت به (نشوى) فى لهفة :

- ألديك وسيلة ؛ لمقاومة ذلك الشر الرهيب ؟!

أجابها (محمود) ، وصورته الهلامية تضعف ، على نحو ملحوظ ..

« نفس ما أخبرتك به من قبل .. العقل لا يهزمه إلا العقل .. »

سأله (رمزى) فى اهتمام شديد :

- وما الذى تقصده بهذا يا (محمود) ؟! كيف نستخدم العقل ، لهزيمة عقله المتفوق ، الذى تجاوز قدرات كل الحدود المعروفة ، علميًا وتاريخيًا ؟!

بهتت الصورة الهلامية أكثر وأكثر ، مع صوت (محمود) ، الذى يتردد فى كل العقول بلا استثناء ..

« مفهوم القدرة العقلية غير واضح فى أذهانكم يا رفاق .. من الناحية الفعلية يتفوق عقل .... »

تلاشت كلماته دفعة واحدة ، دون سابق إنذار ، وتموّجت صورته الهلامية فى قوة ..

ثم اختفت دفعة واحدة ..

ومع اختفائها المفاجئ ، هتفت (سلوى) :

- لا .. لا تذهب يا (محمود) .. لا تذهب قبل أن تخبرنا .

عادت الصورة الهلامية للظهور ، وهى تهتز بشدة ، وبدا صوت (محمود) مضطربًا فى عقولهم ، وهو يقول :

- لابد من مواجهة مباشرة .. عقول فى مواجهة عقول .. خلايا المخ ستمتزج ، و .....

بدا الجزء التالى من عبارته مشوشًا ، حتى إنهم لم يفهموا منه حرفًا واحدًا ، فهتفت (نشوى) :

- هل يتم تسجيل كل هذا ؟!

أشارت (سلوى) بسبابتها ، قائلة فى انفعال :

- بالطبع .

كان من الواضح أن (محمود) يريد أن يضيف شيئًا :

شيء مهم للغاية ..

ولكن صوته كان يخفت ، حتى يكاد يبلغ الصمت ، في حين راحت صورته الهلامية تخفت ..

وتخفت ..

وتخفت ..

وفي توتر بالغ ، غمغم (رمزي) :

ـ رباه ! لقد استنفد كل طاقته .

هتفت (سلوى) في مرارة :

ـ ولكنه لم يخبرنا بأي شيء بعد .

غمغمت (نشوى) :

ـ ربما كان هذا هو المقصود بالضبط .

التفت إليها الجميع في دهشة ، مع اللهجة المرتجفة التي نطقت بها كلماتها ، وسمعوها تضيف وهي تحدق في نقطة ما خلفهم :

ـ وأظنني أعرف لماذا !

التفت الكل ، إلى حيث تتجه نظراتها المذعورة ، وسقطت أبصارهم عند الموضع ، الذي تحتله (مشيرة) ، و .....

واتسعت عيونهم عن آخرها ، بمنتهى الدهشة ..

وبمنتهى الذعر ..

فهناك ، وعلى الرغم من العقار المحبط للحواس ، الذي يسيطر على كيانها كله تقريبًا ، بدت (مشيرة) في هيئة مخيفة ..

مخيفة تمامًا ..

إلى أقصى حد ..

* * *



٢ـ معـــركـة ..

مشوار طويل ، ذلك الذى قطعه (س ـ ١٨) ، عبر الكون كله تقريبًا ، حتى يعود إلى الأرض ..

فبناءً على أوامر (نور) ، ارتفع بجسده الآلى ، حتى بلغ منتصف تلك الفجوة ، التى صنعها الغزاة ، بين عالمهم والأرض ، استعدادًا لنقل قوات الغزو عبرها ..

وفى منتصف الفجوة تمامًا ، راح يدور حول نفسه ..

ويدور ..

ويدور ..

وفى كل دورة ، كانت سرعته تتضاعف ..

وتتضاعف ..

وتتضاعف ..

ثم استجمعت أجهزة جسده الآلى كل طاقتها ، وأطلقتها فى شكل صواعق أرجوانية اللون ..

صواعق أحاطت بحدود الفجوة بين العالمين ، وصنعت حولها نطاقًا أرجوانيًا متألقًا ..

ثم دوى انفجار رهيب ..

انفجار تلاشت معه تلك الفجوة بين العالمين ، ولم يعد لها أثر ..

أدنى أثر(*) ..

ومع تلاشى الفجوة ، وجد (س ـ ١٨) نفسه فى عالم آخر ..

عالم إمبراطورية (نور) الوحشية ..

عالم من الأعداء ..

ولدقيقة أو يزيد ، راحت أجهزة (س ـ ١٨) ، وذاكرته الإلكترونية الرقمية ، تدرس ما حدث ، وتحلله ، وتحاول إيجاد المعادلات اللازمة لعكس تأثيره ، وإعادة الأمور إلى نصابها ..

ولكن الأجهزة كلها أعلنت أن هذا مستحيل !

مستحيل تمامًا ..

هذا ؛ لأن الفجوة بين العالمين ، لا يمكن أن تتكون مرة أخرى ، إلا عند نقاط تماس بعينها ..

(*) راجع قصة (سادة الكون) ... المغامرة رقم (١٣٤) .

وفى أزمنة محدودة ..

محدودة للغاية ..

لذا ، فقد راحت أجهزته كلها تعيد دراسة الأمر ، من منظور جديد ..

منظور مختلف تمامًا ..

ولأن برامجه شديدة التعقيد ، تحوى كل النظريات الفيزيقية والفلكية ، التى توصل إليها صانعوه الأوائل ، فقد توصلت إلى حل آخر ..

حل شديد التعقيد ..

إلى أقصى حد ..

وفى نفس الوقت ، الذى استعدت فيه القوات الإمبراطورية لـ (هور) ، للانقضاض عليه ، انتقامًا لما أصاب إمبراطورها وعرشه الكبير ، انطلق (س ـ ١٨) فجأة ..

انطلق يشق سماء (هور) ، نحو الفضاء ..

فضاء العالم الآخر ..

وفى أعماق برنامجه الآلى ، راحت الخريطة ترتسم ..

خريطة العودة إلى حيث ينتمى ..

إلى كوكب الأرض ..

وعالم كوكب الأرض ..

كان عليه أن يعبر عددًا من الثقوب السوداء ، والأنفاق الدودية الفضائية ، وأن يمتلك كل الطاقة الكافية لهذا ..

وكل الزمن اللازم أيضًا ..

ولأن برامجه لا تحوى القلق أو الخوف ..

حتى من الزمن ..

فقد انطلق (س ـ ١٨) فى رحلته ..

انطلق يشق طريقه بين عالمين ..

وعبر الكون ..

وفى تلك اللحظات ، كان برنامجه يظن أنه قد اقترب من الهدف ..

من الأرض ..

لذا فقد راح يتجه نحو (مصر) مباشرة ، و ....

« استعد لبدء الهجوم .. »

نطق وزير الدفاع المصرى العبارة ، فى صرامة تامة ، عبر كل أجهزة الاتصال ، التى تربطه بقيادات الجيوش المختلفة ، فسرت رعدة محدودة ، فى جسد أركان حربه ، وهو يغمغم :

ـ الواقع أن ما نفعله لا يروق لى أبدًا ، يا سيادة الوزير .

انعقد حاجبا وزير الدفاع ، وهو يقول فى صرامة :

ـ إننا ننفذ أوامر الرئيس ، باعتباره القائد الأعلى للقوات المسلّحة ، وفقًا للدستور .

هزّ أركان الحرب برأسه ، قائلاً :

ـ ولكننا نهاجم (س ـ ١٨) يا سيادة الوزير .. ذلك الآلى الذى أنقذ الأرض كلها ، من غزو رهيب ، و ...

قاطعه الوزير فى صرامة :

ـ ومن أدراك أنه ليس طليعة غزو آخر هذه المرة ؟!

قال أركان الحرب فى توتر :

ـ ما يقلقنى أننا لم نحاول حتى التيقن من هذا .

استدار إليه الوزير بكل صرامته ، وهو يقول :

ـ إننا ننفذ الأوامر العليا ، وما دام الرئيس ، بكل أجهزته ومخابراته الرياسية ، والعلمية ، والعامة ، قد اتخذ قرارًا كهذا ، فلديه حتمًا ما يبرّره .

تنهّد أركان الحرب ، وهزّ رأسه ، مغمغمًا :

ـ أتعشم هذا ، فمن الناحية العملية ، نحن نقاتل بطلاً قوميًا ..

انعقد حاجبا الوزير فى شدة ، وهو يقول :

ـ إنه مجرّد شخص آلى .

أومأ أركان الحرب برأسه ، قائلاً :

ـ ربما يا سيادة الوزير .. ولكن السؤال الحقيقى الآن هو : هل سيمكننا أن ننتصر ، فى معركة كهذه ؟!

ازداد انعقاد حاجبى الوزير ، وهو يرمقه بنظرة نارية ، قبل أن يعتدل ، قائلاً بكل الصرامة ، عبر أجهزة الاتصال العسكرية المختلفة :

ـ ابدأ الهجوم .

نطقها ، وهو يضغط زرًا كبيرًا أمامه ، فسرت قشعريرة جديدة ، فى جسد أركان الحرب ، وهو يطالع شاشات الرصد كلها ..

كانت المقاتلات الأرضية تقلع ..

ومدافع الليزر تتوجّه ..

وقطع الأسطول تتمركز ..

والأقمار الصناعية الدفاعية تتحفّز ، و ...

ووصل جسم (س ـ ١٨) ، إلى نطاق الحماية الفضائية الأرضية ..

وفي آن واحد ، وعلى الرغم من سرعته الخرافية ، انطلقت مدافع الليزر الفضائية ، في كل الأقمار الصناعية ، نحو الهدف ..

وفي لحظة واحدة ، تلقّى جسم (س ـ ١٨) ضربة هائلة مركّبة ، من عشرات المدافع الليزرية القوية ..

ضربة جعلت أجهزته تسجّل معدلات رهيبة من الطاقة ..

ولجزء من مائة جزء من الثانية ، لم تستوعب أجهزة (س ـ ١٨) وبرامجه ما حدث !!

فالمفترض ، وفقًا للمسجّل لديه ، أنه يقترب من أرض صديقة !!

فلماذا الهجوم إذن ؟!

ثم بدأ برنامجه القتالي يواجه الموقف على الفور ..

الضربة الرهيبة الأولى ، استنفدت معظم ما تبقّى من طاقته ، للحفاظ على جسده وبرامجه ..

والضربة الثانية ستتلف أجهزته حتمًا ..

لذا ينبغي أن يتفاداها ..

وبأي ثمن ..

وبحركة مباغتة ، انحرف مسار (س ـ ١٨) إلى اليسار ، ثم مرة أخرى إلى اليمين ، قبل أن يعاود الانطلاق نحو الأرض ، بأقصى سرعة تسمح بها أجهزة الطيران داخله ..

وبسرعة مذهلة ، عدّلت مدافع الليزر الفضائية مسارها ..

وأطلقت طلقتها الثانية ..

وسجلت أجهزة (س ـ ١٨) انطلاق الدفعة الثانية ، بسرعتها الليزرية الفائقة ..

وبسرعة مذهلة ، انحرف مساره مرة أخرى ، وهو يهوي نحو الأرض كنيزك مشتعل ، مع احتكاكه بالغلاف الجوي ، بهذه السرعة الخرافية الرهيبة ..

ولأن أشعة الليزر لاتنطلق إلا فى مسارات مستقيمة ، فقد تجاوزت جسده مع ذلك الانحراف المباغت ، الذى تم فى اللحظة المناسبة تمامًا ، وواصلت طريقها ، لتضرب منطقة عسكرية ، فى صحراء (مصر) الغربية ، وتسحقها سحقًا بدوى هائل ..

ومع ذلك المشهد الرهيب ، على شاشات الرصد ، هتف أركان الحرب ، بكل توتر الدنيا :

ـ أوقف مدافع الليزر الفضائية يا سيادة الوزير .. أوقفها بالله عليك .

ضغط الوزير الأزرار أمامه فى سرعة ، وهو يقول فى صرامة :

ـ إنه لن يفلت فى كل مرة ..

هتف أركان الحرب فى حدة :

ـ تاريخه يؤكد أنه قادر على مواجهة ما يفوقنا يا سيادة الوزير .

استعاد ذهن الوزير تاريخ (س ـ ١٨) ، ومواجهاته السابقة المختلفة ، قبل أن يغمغم ، وقد بلغ توتره مبلغه :

ـ إننا ننفذ الأوامر ..

فى نفس اللحظة ، التى نطق فيها عبارته ، كانت المدافع الليزرية الأرضية ، وصواريخ المقاتلات ، وقطع الأسطول البحرى ، تشن جميعها هجومًا شاملاً موحدًا ، على الأطلنطى الآلى ..

وشعر جسم (س ـ ١٨) بالضربة الثانية ..

والثالثة ..

والرابعة ..

وراح مخزون الطاقة المتبقى فى أجهزته ينضب ..

وينضب ..

وينضب ..

حتى الحرارة الرهيبة ، التى تحيط بجسده ، من جراء الاحتكاك بالغلاف الجوى الأرضى ، كان تستنفد طاقته ..

وتستهلكها ..

وتطيح بكل ماتبقى منها ..

وعبر برنامجه الأساسى ، انطلق إنذار قوى ..

إنذار يعلن أن طاقته على وشك النفاد ..

فعلى الرغم من بطارياته الرهيبة ، التى زوّده بها سادته وصانعوه ، فى حضارة سبقت حضارتنا بزمان ، وتفوقت عليها ألف مرة ، ومن قدرتها المذهلة على تخزين طاقات هائلة ، تكفى لإضاءة الأرض كلها ، وتشغيل مصانعها بطاقتها القصوى ، لأكثر من شهر كامل ، كان جسم الآلى يوشك على إعلان انهياره ..

تلك الرحلة الطويلة ، عبر الكون وعوالمه ، بتلك السرعة الخرافية ، استنفدت معظم طاقاته الهائلة ..

ثم جاء ذلك القتال المباغت ، الذى استقبلته به الأرض ، ليستنفد كل ما تبقى له ..

تقريبًا ..

لذا ، وقبل حتى أن تبدأ الموجة الجديدة من الهجوم ، توقفت أجهزة (س - ١٨) دفعة واحدة عن العمل ..

وهوى جسده من أعلى ..

هوى كالحجر ..

وعلى كل شاشات الرصد ، سجلت آلات المراقبة هذا المشهد ..

مشهد الجسد الآلى ، بزيه الأحمر الزاهى ، ووجهه الأخضر المخيف ، وهو يهوى من حالق ، ويرتطم برمال الصحراء فى عنف ..

بل عنف العنف ..

وارتطامه نفسه ، بدا أشبه بقنبلة قوية ، تفجرت فى قلب الصحراء ، وارتفعت معها سحابة كبيرة من الدخان ..

ومع دوى القنبلة ، خيم وجوم عجيب على الجميع ..

المقاتلون ..

ورجال الأسطول ..

والوزير ..

وأركان الحرب ..

وحتى صورة الرئيس الوهمية ..

وجوم صامت ، شمل الكل ، وهم يترقبون انقشاع الدخان ، وهبوط سحب الرمال والغبار ، ووضوح ذلك الجسم المستلقى على الرمال ..

كان من الواضح أن درجة حرارته مرتفعة إلى حد مدهش ، حتى أنها أذابت الرمال من حوله ، وصنعت بركة زجاجية عجيبة ، لها التماعة مميَّزة ، تحت أشعة الشمس(*) ..

ولدقيقة كاملة تقريبًا ، اكتفى الكل بمتابعة ذلك المشهد النادر الرهيب ، قبل أن تقول صورة الرئيس الوهمية :

ـ اتخذوا كافة الإجراءات ، لانتشال ذلك الآلي ، وضمان السيطرة التامة عليه .. فورًا .

لم تنطقها الصورة ، ولم تردِّدها أجهزة الاتصالات العسكرية ، إلا أن الوزير وأركان حربه قد سمعاها عبر عقليهما ، وتصورًا وهمًا أنها قد أتتهما عبر جهاز الاتصال المباشر الخاص ، فقال الوزير في حزم :

ـ كما تأمر يا سيادة الرئيس .

ثم التفت إلى أركان حربه ، قائلاً في صرامة :

ـ اعمل على تنفيذ أوامر سيادة الرئيس فورًا ..

(*) يصنع الزجاج التقليدي من مركبات (السيليكا) وهو الاسم الشائع لثاني أكسيد السيليكون ، الذي يوجد في هيئات مختلفة ، مثل الكوارتز ، والرمال ، وبعض الصخور ، والأجزاء الهيكلية لبعض الحيوانات والنباتات .

خُيِّل إليه أن أركان حربه لم يسمع حرفًا واحدًا مما نطقه ، وهو يحدق في جهاز الاتصال أمامه ، فصاح به في صرامة :

ـ ألم تسمعني أيها العقيد ؟!

أدهشه أن انتفض أركان حربه في قوة ، وكأنما انتزعته الصيحة من شرود عميق ، ثم التفت إليه ، قائلاً في توتر :

ـ معذرة يا سيادة الوزير .. لقد سمعتك جيدًا ، ولكن ...

بدا مضطربًا ، وهو يبتر عبارته ، ويعود ببصره إلى جهاز الاتصال العسكري ، فهتف به الوزير في عصبية :

ـ ولكن ماذا يا رجل ؟!

أشار أركان الحرب إلى جهاز الاتصال ، وهو يقول ، بصوت شديد التوتر والاضطراب :

ـ الجهاز لم يكن يعمل ، عندما استقبلنا أوامر سيادة الرئيس !

علا حاجبا الوزير ينعقدان ، وهو يقول في توتر :

ـ لم يكن يعمل ؟! أي قول هذا يا رجل ؟!

هزَّ أركان الحرب رأسه ، قائلاً في إصرار :

ـ مصباح التشغيل لم يكن مضاءً .

ازداد انعقاد حاجبى الوزير ، وهو يحدّق فى جهاز الاتصال العسكرى بدوره ، قبل أن يشد قامته فى توتر ، قائلاً :

ـ مستحيل يا رجل ! لقد سمعنا أوامر سيادة الرئيس معًا .. أليس كذلك ؟!

تعلّق بصر أركان الحرب بجهاز الاتصال ، وهو يغمغم :

ـ بالتأكيد يا سيدى .. بالتأكيد .

نقل الوزير بصره فى توتر ، بين وجه أركان حربه وجهاز الاتصال ، قبل أن يشدّ قامته مرة أخرى ، ويستعيد صرامته ، قائلاً :

ـ سيادة الرئيس قال : فورًا .

اعتدل أركان الحرب ، وقال فى حزم عسكرى :

ـ فورًا يا سيدى .. فورًا .

قالها ، وانطلق لتنفيذ الأوامر الوهمية ، فى حين استدار الوزير ، يتطلع إلى جهاز الاتصال العسكرى ، وذهنه يطرح سؤالاً مخيفًا ..

مخيفًا بحق ..

* * *

« كيف حدث هذا ؟! »

نطق الدكتور (حجازى) العبارة ، فى توتر بالغ ، وهو يتراجع بحركة دفاعية غريزية ، داخل مقر الفريق ، فى نفس الوقت الذى حدّق فيه (رمزى) و(سلوى) و(نشوى) ذاهلين ، فى جسد (مشيرة) ، الذى تعلّق فى الهواء ، على ارتفاع متر ونصف المتر تقريبًا من الأرض ، متحديًا كل قوانين الجاذبية ، وهى تحدّق فيهم جميعًا ، بنظرة وحشية رهيبة ، وابتسامة ساخرة مخيفة ..

كانت تدير نظرتها الوحشية فى وجوههم ، فى بطء عجيب ، وابتسامتها الساخرة تبدو أشبه بابتسامة ذئب مسعور ، يهم بالانقضاض على فريسة واهية مستسلمة ..

وبكل دهشة وذعر الدنيا ، غمغمت (سلوى) :

ـ إنه هنا ..

وأضافت (نشوى) بصوت مرتجف :

ـ برنامجنا المضاد لم يمنعه ، أو يحول بيننا وبينه .

أما (رمزى) ، فقد انعقد حاجباه ، وهو يتمتم :

ـ الباب الخلفى .

سألته الدكتور (حجازى) ، وهو لايدرى أين يذهب :

- ماذا تعنى ؟!

أجابه (رمزى) ، الذى بدا وكأنه الوحيد من بينهم ، الذى تغلّب فضوله على خوفه وذعره مما يواجهه :

- إنه ليس هنا ، ولكن الطاقة التى تركها فى عقل (مشيرة) ، هى التى تصنع كل هذا .

غمغمت (سلوى) ، مضطربة :

- ولكن جسدها يتحدّى قوانين الجاذبية كلها !

وافقها (رمزى) بإيماءة من رأسه ، وقال ، وعيناه تتابعان جسد (مشيرة) ، الذى يتحرك فى الهواء بنعومة مدهشة ، على ذلك الارتفاع ، وكأنه معلق بحبل غير مرئى ، وعيناها تحدجان الجميع بنظراتها التى تزداد وحشية ، أكثر وأكثر :

- هناك بعض الحالات المسجّلة ، للارتفاع عن الأرض ، ضد قوانين الجاذبية ، لبعض رهبان (التبت) ، والروحانيين فى (الهند) ، وجنوب شرق (آسيا) [*] .. صحيح أنها لم تبلغ قط هذا الارتفاع ، ولم تزد فى معظم الحالات عن سنتيمترات قليلة ، إلا أننا نواجه عقلاً جباراً ، لم يتم رصد أو تسجيل قدراته من قبل .

(*) حقيقة ..

انعقد حاجبا (نشوى) ، وهى تقول :

- أو أن ما نراه مجرّد وهم .

لم تكد تنطقها ، حتى خُيِّل للكل أن جسد (مشيرة) ، قد اختفى بغتة ، ثم عاد يظهر على أرض المكان ، وهى تصرخ فى وحشية :

- عبقرية كأبيك .

كان صوتها رهيباً مخيفاً ، وهى تنطق العبارة ..

ثم تنقض ..

وعلى الرغم من البرنامج المضاد ، والعقار المحبط للحواس ، كانت انقضاضتها قوية ..

وحشية ..

شرسة ..

ومباغتة ..

ففى لحظة واحدة ، قطعت المسافة التى تفصلها عن (نشوى) ، بوثبة هائلة مدهشة ، قبل أن تقبض أصابعها على عنق هذه الأخيرة ، وهى تكمل ، بصوت وأسلوب ذلك المسخ الرهيب :

- إذا ، فستلحقين به .

احتقن وجه (نشوى) فى شدة، وجحظت عيناها من فرط الألم، وأصابع (مشيرة) تعتصر عنقها..

وتعتصره..

وتعتصره..

وبكل لوعة وغضب الدنيا، صرخت (سلوى):

- لا .. ليس (نشوى).

قالتها، وهى تنقض كقطة شرسة على (مشيرة) فى محاولة لحماية ابنتها والدفاع عنها..

وتعلقت (سلوى) بعنق (مشيرة)، وهى تصرخ:

- اتركى ابنتى.

ولكن (مشيرة) أدارت ذراعها حول ظهرها، وأمسكت مؤخرة عنق (سلوى)، فى مرونة مدهشة، ثم انتزعتها من مكانها بقوة رهيبة، وألقت بها بكل قوتها، عبر المعمل كله..

وبمنتهى العنف، ارتطمت (سلوى) بالجدار، ثم سقطت أرضًا، فى حين عادت أصابع (مشيرة) تلتف حول عنق (نشوى) بقوة تفوق قوتها الأصلية، وهى تقول، بصوت ولهجة ذلك المسخ الرهيب:

- لقد حان وقتها، لتلحق به.

كانت (سلوى) تشعر بآلام مبرّحة، فى كل عظمة من جسدها، وعلى الرغم من هذا، فقد هبّت واقفة على قدميها، مدفوعة بغريزة الأمومة القوية، واندفعت مرة أخرى نحو (مشيرة)، صارخة:

- لن أسمح لك بمس شعرة واحدة منها.

وقبل أن تبلغ (مشيرة)، التى أطلقت ضحكة ساخرة وحشية، وهى تواصل اعتصار عنق (نشوى)، التى جحظت عيناها فى آلام رهيبة، فوجئت بالدكتور (حجازى) ينقض على (مشيرة)، ويطوّق ذراعيها ووسطها بذراعيه، وهو يصرخ:

- الآن يا (رمزى) .. الآن يا ولدى.

وثب (رمزى) نحو (مشيرة)، وهتف بكل توتره:

- سامحينى يا (مشيرة)..

انتبهت (سلوى)، فى تلك اللحظة فقط، إلى المحقن الذى يحمله فى يده، والذى رفعه فى سرعة، ثم هوى به على الوريد العنقى لمذيعة (أنباء الفيديو) اللامعة..

وانغرس المحقن، فى الوريد العنقى لـ(مشيرة)، التى أطلقت زمجرة وحشية غاضبة..

وقبل أن تكتمل زمجرتها ، ضغط (رمزى) مكبس المحقن بكل قوته ، ودفع السائل داخله ، فى دماء (مشيرة) ، التى أطلقت زمجرة أكثر غضبًا ووحشية ، كما لو أنها قد تحولت إلى وحش مفترس ، ثم دفعت الدكتور (حجازى) بقوة هائلة ، أجبرته على إفلاتها ، قبل أن تدور بمناها حول ظهرها ، وتقبض على سترة (رمزى) صارخة :

- أنت تستحق الموت .

ومع اكتمال صرختها ، انتزعته من مكانه ، وطوّحته فى الهواء ، كما لو أنه مجرد دمية صغيرة ، قبل أن تضرب به الأرض مرة ..

وثانية ..

وثالثة ..

وكل هذا دون أن تفلت عنق (نشوى) ، التى تقبض عليه بيسراها فى قوة ، و ...

« لن تربحى معركتك أبدًا .. » ..

صرخت بها (سلوى) ، وهى تختطف أقرب جسم ثقيل إلى يدها ، ثم تهوى به على مؤخرة عنق (مشيرة) ..

وبكل ما تملك من قوة ..

وفى هذه المرة ، ومع كل ما تلقته وواجهته ، جحظت عينا (مشيرة) عن آخرهما ، وتخلت عن عنق (نشوى) ، وهى تتراجع مترنحة ، فصرخت (سلوى) مرة أخرى :

- أبدًا .

وفى هذه المرة ، هوت بذلك الجسم الثقيل على فك (مشيرة) ، التى أطلقت صيحة ألم قوية ، وهى تدور حول نفسها ، ثم تهوى أرضًا كالحجر ..

وارتفعت يدا (سلوى) بذلك الجسم الثقيل مرة ثالثة ، و ...

« كفى يا (سلوى) .. كفى ... » ..

أمسك الدكتور (حجازى) معصمها بقوة ، قبل أن تهوى بذلك الجسم على رأس (مشيرة) ، وأكمل وهو ينتزعه منها فى قوة :

- لقد فقدت وعيها وانتهى الأمر .

اتسعت عينا (سلوى) بكل الارتياع ، وهى تحدق فى جسد (مشيرة) ، وبركة الدم التى تكونت حول رأسها ، ثم نقلت بصرها فى رعب إلى ابنتها (نشوى) ، التى سقطت أرضًا ،

إلى جوار مائدة جهاز الكمبيوتر الخاص بها ، وهى تمسك عنقها المتورم ، وتلتقط أنفاسها بصعوبة ، هاتفة بصوت متحشرج مختنق :

ـ (رمزى) .. أنقذوا (رمزى) .

تطلق هتافها ، وهى تشير إلى جسد (رمزى) ، الممتد إلى جوارها ، فى سكون مخيف ، وأنفاس ضعيفة باهتة ، والدماء تسيل من جرح فى جبهته ، فاندفع الدكتور (حجازى) نحوه ، هاتفًا :

ـ رباه ! هذا الهجوم الداخلى المباغت أصابنا بأضرار بالغة ، لم يلجح فيها خصمنا الأساسى نفسه .

هتفت (سلوى) ، بأنفاس متلاحقة مبهورة :

ـ و (نور) .. يا إلهى ! (نور) .

سألها الدكتور (حجازى) ، وهو يفحص (رمزى) فى توتر ، ويلتقط هاتفه الخاص ، للاتصال بطاقم الإسعاف :

ـ ماذا عنه يا (سلوى) ؟!

هتفت ، وهى ترتجف فى شدة :

ـ ألم تسمع ما قالته ، بصوت ولهجة ذلك المسخ ؟! لقد أرادت أن تقتل (نشوى) ؛ لتلحق بأبيها .

ثم اتسعت عيناها ، بكل رعب الدنيا ، وهى تضيف :

ـ لما الذى يمكن أن يعنيه هذا يادكتور (حجازى) ؟! ما الذى يمكن أن يعنيه ؟!

امتقع وجه الدكتور (حجازى) ، وأدار عينيه فى الإصابات العديدة ممن حوله ، وقلبه يرتجف بين ضلوعه فى رعب ..

فما أشارت إليه (سلوى) ، كان واضحًا للغاية ..

وكان يعنى أن (نور) قد واجه خطرًا رهيبًا بالفعل ..

خطر الموت ..

وبلا رحمة .

* * *



٢ - المخ وحده ..

لم يشعر اللواء (عماد وجيه) نائب رئيس مخابرات رياسة الجمهورية ، في حياته كلها بالقهر والغضب ، مثلما شعر بهما ، داخل تلك الزنزانة الصغيرة ، أسفل طوابق مخابرات الرياسة ..

لقد نجح المشروع ، الذي تبناه بصفة شخصية ، نجاحًا مبهرًا ، حتى إنه قد تجاوز كل الحدود والأسوار ..

كلها بلا استثناء ..

وهذا يعني أنه ، كما توقعه تمامًا ، أخطر وأقوى سلاح عرفته البشرية ، في تاريخها كله ..

سلاح العقل ..

والمخ ..

المخ وحده ..

والواقع أنه لم يتوقع قط هذا النجاح المبهر الفائق ..

النجاح الذي تجاوز حتى برنامج الحماية الخاص ، الذي أضافه إليه ، لتأمين حياته الشخصية ..

أو أنه قد وجد وسيلة عبقرية ، للالتفاف حوله ..

وما هي ذي النتيجة ..

زنزانة صغيرة حقيرة ، ألقاه داخلها رجاله ، الذين كانوا يطيعون فيما سبق أية إشارة من أصغر أصابعه ..

لقد أبقى على حياته ، وفقًا لبرنامج التأمين ، ولكنه عزله تمامًا ..

ألقاه في سجن أبدي ، لا يدري إلا الله وحده ، متى يخرج منه ..

أو كيف يخرج ..

حيًا أم ميتًا ..

تضاعف قهره وغضبه ، مع المصير الغامض الذي ينتظره ، فعضّ شفتيه في مرارة ، وعقله ينطلق إلى البداية ..

بداية هذا المشروع الرهيب ..

مشروع (المخ) ..

- « لقد قتلوه ... » ..

نطق مدير مخابرات رياسة الجمهورية المصرية في ارتياح ،

في ذلك اليوم ، الذي يلقه فيه مصرع ذلك المسخ الرهيب ، برصاصات مسدس (أكرم) ، ثم تراجع في مقعده ، مستطردًا ، وهو يلوّح بيده :

- في لحظة ما ، تصورت أننا لن ننتصر على هذا الشيء أبدًا ، فالجيوش قد تواجه أعتى الأسلحة والمعدات ، ولكنها تعجز حتمًا عن مواجهة قوة عقلية فائقة كهذه .

ثم عاد يميل إلى الأمام ، مضيفًا في حزم :

- هل رأيت ما فعله بالقوات الخاصة ، التي حاولت اقتحام وكره ؟!

لحظتها بدأت الفكرة تنمو في ذهن اللواء (عماد) ، وهو يغمغم :

- إنني أتساءل في الواقع ، كيف تمكّن عضو فريق (نور) هذا من الظفر به ..

سأله رئيس مخابرات الرياسة في اهتمام :

- ماذا تقول أيها اللواء ؟!

اعتدل (عماد) ، وشدّ قامته ، وهو يقول :

- إنه سلاح جبار بالفعل ياسيدي ..

لم تفارقه الفكرة لحظة واحدة ، وهو يعود إلى مكتبه ، ويستغرق في دراستها أكثر وأكثر ، قبل أن يلتقط جهاز اتصاله الخاص ، قائلاً عبره في حزم صارم :

- عميد (ماهر) ، وعميد (أشرف لبيب) .. أريدكما في مكتبي فورًا .. الاجتماع سري وخاص للغاية .

لم تمض دقائق خمس ، حتى كان الرجلان في مكتبه ، فسألهما في اهتمام :

- هل تابعتما عملية ذلك العقل البشري المزدوج ؟!

أجابه الاثنان ، في آن واحد :

- كل لحظة منها ياسيدي .

جلس خلف مكتبه ، يسألهما في اهتمام :

- وما الذي تستخلصان منها ؟!

أجابه العميد (أشرف) في سرعة :

- إنه سلاح رهيب بحق .

وأضاف العميد (ماهر) :

- سلاح لا يمكن تكراره .

مال (عماد) نحوهما ، وهو يقول بمنتهى الصرامة :

ـ ولا يمكن تعويضه أيضًا ..

لم يفهم الرجلان ما يعنيه ، فتبادلا نظرة متوترة ، قبل أن يعودا ببصرهما إليه ، فاعتدل متابعًا ، على نحو أكثر صرامة :

ـ لذا فينبغى ألا نضيع فرصة الاستفادة منه أبدًا .

تبادل الرجلان نظرة أكثر توترًا ، قبل أن يتساءل العميد (أشرف) فى حذر :

ـ هل يمكنك أن توضح أكثر ياسيادة اللواء ؟!

صمت اللواء (عماد) بضع لحظات ، قبل أن يشبك أصابع كفيه أمام وجهه ، قائلاً :

ـ بالتأكيد ..

ثم نهض من خلف مكتبه فجأة ، وهو يسألهما :

ـ ألديكما معلومات كافية ، عن مشروع (المخ) ؟!

أجابه العميد (ماهر) فى حزم :

ـ بالتأكيد ياسيادة اللواء .. إنه مشروع خاص بترجمة

ذاكرة كبار القادة والزعماء ، عبر موجات أشعة (جاما) وتخزينها على نحو خاص بحيث تستخدم لبرمجة برامج عسكرية خاصة ، يمكنها اتخاذ القرارات بسرعة كبيرة ، وبكفاءة وخبرة مدهشتين ، فى حالات الضرورة .

وأضاف العميد (أشرف) فى اهتمام :

ـ باختصار ، إنه مشروع أشبه بالخيال ، للحفاظ على كفاءة وخبرات العظماء ، حتى لاتنتهى بموتهم .

نقل اللواء (عماد) بصره بينهما لحظة ، قبل أن يقول :

ـ ولكنه لايقتصر عليهم دون سواهم .. أليس كذلك ؟!

تطلّع إليه الرجلان فى صمت متسائل ، قبل أن تتسع عينا العميد (أشرف) ، وهو يقول :

ـ رباه ! سيادة اللواء .. هل تفكّر فى ..

قاطعه اللواء (عماد) فى حزم :

ـ بالضبط .. إننا أمام سلاح عقلى جبار ، لم يشهد العالم مثيلاً له ، فى تاريخه كله .. سلاح كاد يهزم جيوشنا ، بكل عدادها وعدتها .

ثم رفع قبضته أمام وجهه ، مستطردًا في صرامة :

ـ فماذا لو أنه في قبضتنا ؟!

تألقت عينا العميد (أشرف) ، وهو يهتف :

ـ رباه ! لا يمكنني حتى تصور هذا .

انعقد حاجبا العميد (ماهر) ، وهو يقول في توتر :

ـ من الطبيعي ألا يمكنك تصوره ، فتنفيذ أمر كهذا مستحيل تمامًا !

التفت إليه اللواء (عماد) بنظرة صارمة ، فأضاف في سرعة :

ـ التجارب التي أجريت ، في هذا الشأن ، اعتمدت كلها على موجات الأحياء ، فأمخاخ الموتى لا تطلق موجات (جاما) أو غيرها .

انعقد حاجبا اللواء (عماد) في توتر شديد ، وبدا غاضبًا بشدة ؛ لأن مشروعه غير قابل للتنفيذ ، و ...

« هناك وسيلة أخرى ... »

نطقها العميد (ماهر) في حزم ، فالتفتت إليه عيون الرجلين في اهتمام بالغ ، جعله يتابع بنفس الحزم :

ـ الحالة التي أمامنا ، هي حالة طفرة جينية خاصة جدًا ، مما يعني أن جيناتها الوراثية تحوي صفات متميزة ، لو أمكننا أن نستنسخها ، فسننتج مسخًا آخر .. مسخًا نملكه نحن .

اتسعت عينا العميد (أشرف) ، في ارتياع شديد للفكرة ..

فكرة إنتاج مسخ آخر ..

مسخ له نفس السمات الوراثية ..

ونفس المخ المزدوج ..

المخ الرهيب ..

أما اللواء (عماد) ، فقد بدا شديد الاهتمام والانبهار ، وهو يسأل العميد (ماهر) :

ـ أهذا ممكن بالفعل ؟!

أجابه العميد (ماهر) في حزم :

ـ تكنولوجيا الاستنساخ لم تعد عسيرة أو معقدة كالسابق يا سيدي ، وما دامت لدينا خلية واحدة من ذلك الشيء ، فسيمكننا أن نصنع منها نسخة أخرى كاملة منه ..

سأله اللواء (عماد) في اهتمام :

ـ وكم سيستغرق هذا ؟!

أجابه العميد (ماهر) فى سرعة :

ـ ماسنحصل عليه هو بويضة مخصبة ، سيتم زرعها فى رحم أم بديلة ، و ....

قاطعه (عماد) فى حدة :

ـ ومن يمكنه انتظار كل هذا الوقت ؟! أسلوبك هذا يحتاج إلى عشرين عامًا على الأقل ، قبل أن نجنى ثماره ، ونمتلك قوته .

ثم لوّح بذراعيه فى حدة أكثر ، مضيفًا :

ـ أين سنصبح عندئذ ؟!

هزّ العميد (ماهر) رأسه ، قائلاً :

ـ المهم هو أن تمتلك مصر هذا السلاح فى النهاية ، وهذه هى الوسيلة الوحيدة لـ ....

اندفع العميد (أشرف) ، يقاطعه ، قائلاً فى حزم :

ـ ليست الوسيلة الوحيدة .

استدار إليه اللواء (عماد) ، يسأله فى سرعة ولهفة :

ـ هل تعتقد أن هناك وسيلة أخرى ؟!

شدّ العميد (أشرف) قامته ، والتقط نفسًا عميقًا ، قبل أن يجيب فى قوة :

ـ بالتأكيد ياسيادة اللواء .

قالها ، ورمق العميد (ماهر) بنظرة جانبية سريعة ، وكأنما يعلنه بانتصاره ، فى هذه المعركة الكلامية قبل أن يتابع :

ـ تكنولوجيا الاستنساخ الانتقائى(*) ..

تألقت عينا اللواء (عماد) ، وهو يهتف :

ـ بالضبط .

تابع العميد (أشرف) ، وقد شمله حماس بلا حدود :

ـ مادام سلاح ذلك المسخ يكمن فى مخه ، فدعونا نعمل على استنساخ مخه وحده ، وسنستخدم أحدث تكنولوجيا لدينا ، وكذلك هرمونات النمو البالغ ، التى أمكننا استخلاصها من دماء (لشوى) ، ابنة المعلم (نور الدين) ، والتى أدت إلى نموها بسرعة خرافية ، فى إحدى مغامراتهم السابقة العجيبة(**) ..

(*) الاستنساخ الانتقائى تكنولوجيا شديدة التطور ، يسعى العلم لبلوغها ، فى وقتنا الحاضر ، وهى تعتمد على استنساخ أعضاء منفردة بعينها ، بحيث تنمو بسرعة ، بدون ضرورة استنساخ الجسد بأكمله ، بكل ماله من حقوق مدنية وكونية ، واستخدامها فى عمليات الزرع ، المطلوبة لتسارع نفسه لضمان التوافق التام ، وعدم رفض الجسد للأعضاء .

(**) راجع قصة (المحيط الملتهب) ... المغامرة رقم (٦٢) .

عادت عينا اللواء (عماد) تتألقان ، على نحو عجيب ، وهو يقول :

ـ ومتى يمكننا أن نظفر بمسخ مزدوج جديد ؟!

أشار العميد (أشرف) بسبابته ، قائلاً :

ـ في غضون أشهر قليلة ياسيادة اللواء .

هتف اللواء (عماد) ، في حماس فائق :

ـ عظيم .

بدا لهم حماسه مبالغاً ، فتبادلا مرة أخرى نظرة صامتة ، انتبه هو إليها ، فاستعاد توازنه في سرعة ، وهو يقول في صرامة :

ـ عميد (أشرف) .. تولَّى التنفيذ فوراً .. اذهب إلى مركز الطب الشرعي الجنائي ، واحصل على عينة من مخ ذلك المسخ ، و ....

قبل أن يتم قوله ، ارتفع رنين هاتفه الخاص ، فالتقطه من جيبه بحركة سريعة ، وضغط زره ، قبل أن يضعه على أذنه ، قائلاً :

ـ اللواء (عماد) .

انعقد حاجباه في شدة ، على نحو يوحي بأنه قد تلقى خبراً شديد الأهمية شفت عنه حدة صوته ، وهو يقول في صرامة :

ـ لنحرص على أن يظل هذا سراً .. لا تبلغ به أي مخلوق آخر .. نعم .. حتى مؤسسة الرياسة نفسها .. سنتولى نحن الأمر ، اعتباراً من هذه اللحظة .

أنهى المحادثة ، وبدت عيناه شديدتا التألق ، وهو يرفعهما إلى الرجلين ، قائلاً :

ـ ذلك المسخ لم يلق مصرعه .

انعقد حاجبا العميد (أشرف) في شدة ، متصوراً أن هذا يمحو فكرته من الوجود ، في حين هتف اللواء (ماهر) في دهشة :

ـ حقاً ؟!

أجابه اللواء (عماد) ، وهو يتحرك في حجرته بانفعال :

ـ رصاصات عضو فريق (نور) أصابت أحد مخيه فحسب ، لذا فقد أعاده المخ الآخر إلى وعيه ، وهو يستعيد قدراته الآن ، على نحو محدود .

ثم توقف ؛ ليمسك كتف العميد (ماهر) فجأة بمنتهى القوة مضيفًا في انفعال :

ـ إنني أعهد إليك بهذه المهمة يا (ماهر).

انتفض جسد (أشرف) ، وهو يهتف معترضًا :

ـ ولكن ياسيادة اللواء ، كان من المفترض أن ..

استوقفه (عماد) بإشارة صارمة من يده ، وهو يتابع بنفس الانفعال والحماس :

ـ استعده حيًا .. وامنع أي مخلوق من معرفة ما حدث ، وبالذات رجال الأمن والصحافة .. اختر أفضل وأقرب رجالك ، وأكثر من تمنحه ثقتك منهم .. هذه العملية بالغة الأهمية والخطورة .. وبالغة السرية أيضًا ، ولم يعلم بها ، على نحو رسمي ، إلا ثلاثتنا فحسب ، مع من يتبعنا ، من رجالنا الأهل للثقة .. هل تفهم ؟!

أجابه العميد (ماهر) ، وهو يشد قامته في قوة :

ـ بالتأكيد ياسيادة اللواء .. بالتأكيد ..

شد اللواء قامته بدوره ، وهو يقول :

ـ ماذا تنتظر إذن ؟!

اندفع العميد (ماهر) لتنفيذ الأمر ، في حين بقي العميد (أشرف) ، الذي بدا محنقًا متوترًا ، وهو يقول :

ـ سيدي .. لقد أصدرت لي بالفعل الأمر بـ ...

قاطعه (عماد) في حزم :

ـ لقد ادخرت لك دورًا أفضل يا رجل .

اعتدل العميد (أشرف) ، وهو يقول :

ـ حقًا ياسيادة اللواء .

عاد اللواء (عماد) خلف مكتبه ، وجلس في هدوء عجيب ، قبل أن تتألق عيناه مرة أخرى ، قائلًا :

ـ سنمزج الفكرتين ببعضهما .

سأله العميد (أشرف) في اهتمام :

ـ وكيف ياسيادة اللواء ؟!

تراجع (عماد) في مقعده ، وقال في حزم ، وعيناه تشردان بعيدًا ، وكأنما يحاول رؤية المستقبل ، الذي يسعى لتحقيقه :

ـ سنعمل على استنساخ ذلك المخ المزدوج الجبار ، وسنخزن ذاكرته أيضًا ، بوساطة موجات (جاما) ، من خلال ذلك المسخ ، الذي بقي على قيد الحياة ؛ ليضمن لنا التفوق والقوة .

والتقط نفسًا عميقًا ، حاول أن يخمد به نيران الطموح واللهفة فى أعماقه ، قبل أن يستطرد :

ـ ثم سنمزج الاثنين معًا .. المخ الجبار ، والذاكرة الرهيبة .. وبهذا يصبح لدينا سلاح هائل ..

وتراجع فى مقعده ، واتسعت ابتسامته الظافرة ، وهو يضيف :

ـ أقوى سلاح عرفه العالم كله ..

استعاد عقله هذه الذكريات ، وهو جالس داخل زنزانته الصغيرة ، فتضاعف إحساسه بالقهر والغضب ، ودفن وجهه بين كفيه ، وهو يهتف فى مرارة :

ـ لو أنى أعرف ما سيحدث ، لما فعلتها .. أبدًا ..

« ولكنك فعلتها .. »

تردد القول فى عقله فجأة ، فانتفض جسده فى قوة ، ورفع عينيه ، يحدق فى ذلك العملاق الوهمى الهائل ، الذى دخل زنزانته ، ورأسه يقارب سقفها ، والذى تابع فى سخرية شامتة :

ـ وربما كان هذا أكبر خطأ فى حياتك ، ولكنه أعظم فرصة ، حظيت بها أنا .

هتف (عماد) بمنتهى الغضب :

ـ أنت لاشىء .. أنت مجرد وهم .

قال العملاق ، عبر عقله مباشرة :

ـ ربما كان ما تراه داخلك مجرد وهم ، وفى الحقيقة ربما كنت مجرد مخ بلا جسد ، ولكن هذا لم يعقنى كما تتصورون ، بل حررنى من أسر الجسد وتبعاته ، وسمح لمخى أن ينطلق ، وينطلق بلا حدود .

وغمغم اللواء (عماد) فى مرارة :

ـ للأسف !

تابع العملاق الوهمى ، متجاهلاً تعليقه :

ـ فعندما كان جسدى موجودًا ، كان يستهلك جزءًا كبيرًا من طاقة مخى ، لتنظيم احتياجاته ، والسيطرة عليها ، وكان هذا يشتت حتمًا جزءًا من ذهنى وتركيزى ، ولهذا كنت أضطر دومًا للجلوس فى وضع الاسترخاء التام ؛ لأسمح لمخى بالانطلاق بلا حدود .. أما الآن ، فالطاقة كلها موجهة إلى مخى وحده ، دون أية مشكلات جسدية أخرى .

قال اللواء (عماد) في حدة :

- وهل تعتبرها مزية ؟!!

أجابه العملاق الوهمي ، في شيء من الزهو الوحشي :

- بالتأكيد .. لقد منحتني أضعاف قوتي وطاقتي السابقة ، حتى إنه لم يعد هناك عقل واحد ، في الوجود كله ، يفوق عقلي قوة .

ثم أشار إليه بحركة مفاجئة شرسة ، مستطردًا :

- وكلكم شهود على هذا .. لقد تفوقت عليكم ، وهزمتكم ، وأذقتكم الذل والهوان ، اللذين ذقتهما منكم ، طوال حياتي كلها .

ثم بدا أشبه بالوحش الكاسر ، وهو يضيف :

- وهذه مجرد البداية .

صاح (عماد) في غضب :

- مهما فعلت أو بلغت ، ستظل مجرد مخ بلا جسد .. مخ يحتاج إلى من يرعاه ويعتني به ، وإلا فنى بدوره .

انطلقت في أعمق أعماقه ضحكة ساخرة مجلجلة ، بصوت ذلك العملاق الوهمي الرهيب ، قبل أن يقول في شراسة :

- من الواضح أنك لم تتابع الأحداث الأخيرة .. أو أنك لم تعلم بحدوثها بعد ..

ومال العملاق الرهيب نحوه ، مضيفًا :

- إنني لم أعد بحاجة إلى أحد .. لقد تطورت إلى الحد الكافي ، الذي يضع الأمور كلها في قبضتي وحدي .

هتف (عماد) :

- مستحيل ! مستحيل وألف مستحيل !

أطلق العملاق ضحكة أخرى مخيفة ، قبل أن يقول بصوته الرهيب ، الذي يتردد في أعمق أعماق المخ مباشرة :

- لا يوجد مستحيل ، ما دام العقل يستخدم كل طاقاته .. إنكم تستهينون كثيرًا بقدرات العقل ، وتجهلون الأكثر ، عن إمكانيات المخ البشري .. لقد تحررت من أسر الجسد يا هذا .. تحررت منه ، واحتفظت بكل طاقات المخ ، في الوقت ذاته .. ويا لها من تجربة نادرة ، لم يحظ بها سواي ، في التاريخ كله ، وسأحرص كل الحرص ، على ألا يحظى بها بعدي مخلوق بشري واحد .. مخي الآن لم يعد قادرًا على التأثير في عقول الآخرين وحواسهم فحسب ، بل تطور إلى حد التجسد أيضًا .. إنشاء صور وهمية ، لها كيان ملموس ومحسوس .. تمامًا كقدرته على التحكم في المواد ، وتوجيهها وتحريكها عن بعد .. لقد نجح مشروعك إلى أقصى حد يا هذا ، نجح حتى إنه تجاوز حدود توقعاتك كلها .

وصمت لحظة ، ثم أضاف فى وحشية رهيبة :

- وربما توقعتنى أيضًا .

حدق فيه اللواء (عماد) مبهوتًا ، وبدأت ارتجافة باردة تسرى فى كيانه كله ، وهو يقول :

- هل .. هل تحاول أن تقول : إنك تدير الآن برنامجك بنفسك ؟!

أجابه العملاق فى شراسة :

- بالطبع أيها العبقرى .. قلت لك : إننى لم أعد بحاجة إلى أحد .. لقد قضيت على طاقم العلماء بأكمله ، وكل أطقم الحراسة فى مركز الأبحاث العسكرية .. أما برنامج التشغيل الرئيسى ، فقد قمت بتعديله ، بحيث يتناسب مع المرحلة القادمة .

انتفض جسد اللواء (عماد) بمنتهى العنف ، وهو يغمغم :

- قمت بتعديله ؟! هل يمكن أن يعنى هذا أن .. أن ..

سرت فى كيانه كله ضحكة قوية ..

ضحكة ساخرة ..

شامتة ..

متشفية ..

وحشية ..

ومع سرياتها ، مال العملاق الوهمى نحوه ، قائلاً :

- بالضبط يا عبقرى الأبواب الخلفية .. فى برنامجى الجديد ، لايوجد ما يمكن أن يحميك منى .

قالها ، ثم امتدت يده المخيفة نحو اللواء (عماد) ، الذى تراجع فى ارتياع ، وهو يهتف :

- لا .. لا .. مستحيل أن تفعل هذا !! مستحيل !

مع آخر هتافه ، غاصت قبضة العملاق فى صدره ، وشعر مع غوصها بآلام رهيبة ، والعملاق يقول :

- دعنا نرى إذن .. أهو مستحيل ، أم ..

شهق اللواء (عماد) ..

وشهق ..

وشهق ..

وتضاعف الألم أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

تضاعف الألم ألف مرة ، وهو يشعر بتلك القبضة الباردة كالثلج ، تحيط بقلبه ، وتعتصره ..

ثم تجذبه في قوة ..

وصرخ اللواء (عماد) ..

صرخ بكل الألم ..

وكل الرعب ..

وكل العذاب ..

صرخ صرخة رهيبة ، قبل أن ينتزع العملاق قلبه من صدره ، ثم يرفعه أمام وجهه ، متابعًا :

ـ أم حقيقة .

كان القلب يدمى ، ويواصل النبض بين أصابعه ..

والعجيب أن (عماد) قد رأى هذا المشهد بالفعل ..

رأى قلبه بين أصابع العملاق الوهمى ..

رآه لثانية ..

أو لجزء من الثانية ..

ثم هوى جثة هامدة ..

وفى ازدراء عجيب ، وتجاهل تام ، لكل المشاعر الآدمية ، ألقى العملاق القلب فوق جثة صاحبه ، ثم راح يتحول إلى سحابة من دخان خفيف ، راحت تتلاشى فى سرعة ، معلنة أنه لم يعد هناك ما يمكن أن يعوقه ، من تنفيذ مخططه الرهيب للسيطرة على العالم كله ..

وإخلائه عن بكرة أبيه ..

تمامًا ..

* * *



4- سجناء ..

في نعومة مخيفة ، تحرك ذلك العملاق الوهمي الرهيب نحو (أكرم) ، الذي تراجع في توتر شديد ، وهو يسحب مسدسه ، هاتفًا :

- لن تظفر بي أبدًا أيها الوغد ..

وانطلقت ضحكة العملاق ..

انطلقت عالية ، مجلجلة ..

ومخيفة ..

وبنفس النعومة المفزعة ، راح يقترب ..

ويقترب ..

ويقترب ..

وعلى الرغم من توتره الشديد ، صوّب (أكرم) مسدسه ، صائحًا :

- لقد ظفرت بك مرة ، ولا يوجد ما يمنعني من أن أظفر بك مرة أخرى .

توقّف العملاق الرهيب ، على مسافة أمتار قليلة منه ، وبدا بشعًا إلى أقصى حد ، وهو يقول ، في وحشية مخيفة :

- ربما كان هذا صحيحًا .

ثم أدار ذراعه إلى نقطة قريبة ، مضيفًا في تشفٍ :

- ولكنه لا ينطبق على قلبك .

انعقد حاجبا (أكرم) في توتر بالغ ، عندما وقع بصره على (نور) ، الموضوع داخل قفص زجاجي كبير ، والذي أشارت إليه ذراع العملاق ، وهتف في عصبية بالغة :

- إياك أن تمس شعرة واحدة منه .

بدت ضحكة العملاق ساخرة وحشية هذه المرة ، قبل أن يميل بوجهه الخالي من الملامح نحو (أكرم) ، قائلاً :

- وماذا لو مسسته كله .

ومع قوله ، تموّج وجهه على نحو مخيف ..

ثم ظهرت ملامحه ..

ملامح تشبه وجه (نور) ..

وانطلقت ضحكة العملاق هادرة هذه المرة ..

انطلقت ، لترتج معها المنطقة كلها ..

ولترج معها جسد (أكرم) ..

وبمنتهى العنف ..

وبكل ذعره وتوتره ، التفت (أكرم) إلى (نور) ، السجين داخل ذلك القفص الزجاجي الكبير ، وصرخ :

ـ لا .. ليس (نور) .

فأمام عينيه الذاهلتين المذعورتين ، كان العملاق الوهمي قد اكتسب ملامح (نور) ، في حين فقد هذا الأخير ملامحه ..

فقدها تمامًا ..

وبكل غضب الدنيا ، صوّب (أكرم) مسدسه نحو العملاق ، صارخًا :

ـ أيها الوغد .. أيها الحقير ..

وضغط زناد المسدس مرة ..

وثانية ..

وثالثة ..

ولكن رصاصاته لم تنطلق ..

لم تنطلق أبدًا ..

أما العملاق ، الذي اكتسب ملامح (نور) ، فراح يضحك ..

ويضحك ..

ويضحك ..

و ...

وانتفض جسد (أكرم) بمنتهى العنف ..

واستيقظ ..

استعاد وعيه دفعة واحدة ، وهو يهتف :

ـ (نور) ! ليس (نور) .

لم يكد الهتاف يتجاوز شفتيه ، حتى انتبه إلى أنه مقيد من قدميه ، إلى سقف قاعة الأبحاث الرئيسية ، وأن الدماء تملأ رأسه وعينيه ، حتى يكاد ينفجر ، فهتف :

ـ رباه ! ماذا حدث ؟!

استعاد عقله الأحداث الأخيرة في سرعة ، وهو يعدو نحو الباب ..

ثم يثب ..

وتنطلق الصاعقة ..

وينتفض جسده كله ، بمنتهى العنف ..

وفي هذه المرة ، حمل هتافه كل مرارة الدنيا ، وهو يقول :

ـ لقد هزمنا .. خسرنا معركتنا يا (نور) .

أتاه صوت (نور) على مقربة منه ، وهو يقول :

ـ ليس بعد ياصديقي .. ليس بعد .

أدار (أكرم) عينيه ، المحتقنتين بالدماء ، نحو (نور) ، المقيد بإحكام إلى جدار القاعة ، وسأله في لهفة :

ـ (نور) .. أأنت بخير ياصديقي ؟!

أجابه (نور) في صرامة :

ـ لايمكن أن يكون هناك خير ، في موقف كهذا يا (أكرم) .

عبارة (نور) وحدها ، دفعت (أكرم) إلى التطلع فيما حوله ، وهو يتدلى من السقف ، على هذا النحو المقلوب ، في محاولة لاستيعاب موقفه ..

وعبر عينيه ، اللتين اصطبغتا باللون الأحمر الدموي ، رأى القاعة ، بأجهزتها المتقدمة المتطورة ، وشاشاتها ، التي ارتسمت عليها منحنيات معكوسة ، فائقة القوة ، و ...

وفجأة ، وقع بصره على ذلك الشيء الرهيب ، الذي يقبع أسفله مباشرة ، داخل وعاء زجاجي كبير ، اتصلت به أنابيب الإعاشة ، وأسلاك الرصد والتوجيه ..

واتسعت عيناه إلى أقصاها ..

بل ما يفوق أقصاها ..

فما رآه أمامه ، كان مشهدًا لايمكن أن يراه أو يتخيله بشر ..

أي بشر ..

فهناك ، داخل ذلك الوعاء الكبير ، كان هناك مخ يسبح ، وسط سائل شفاف ، له لون أبيض مصفر ..

مخ مزدوج كبير ، يفوق حجم المخ البشري المعتاد بعشر مرات تقريبًا ..

وعبر خلايا ذلك المخ المزدوج الهائل ، كانت هناك شرارات كهربية تنتقل ، في سرعة خرافية ..

سرعة تتناسب مع القدرات الجبّارة ، التي يتمتع بها المخ ..

المخ المزدوج ..

الرهيب ..

وبكل ذعر وذهول الدنيا ، هتف (أكرم) :

- (نور) .. أهذا هو ...

احتبست الكلمات في حلقه ، مع غصة لم يشعر بمثلها من قبل قط ، فأجابه (نور) بنفس الصرامة :

- نعم يا (أكرم) .. هذا هو خصمنا .

هتف (أكرم) ذاهلاً :

- مخ ؟! مجرّد مخ .

أومأ (نور) برأسه إيجابا ، وقال :

- إنه مخ يا (أكرم) ، ولكن ليس مجرّد مخ .. إنه نسخة مكبّرة ومضخمة ، من مخ خصمنا الرهيب .. نسخة تم إطلاق نموها بلا حدود ، بوساطة هرمونات خاصة ، حتى بلغت هذا الحجم .

وصمت لحظة ، قبل أن يضيف في مرارة :

- وهذه القوة .

حدّق (أكرم) مرة أخرى ، في ذلك المخ المزدوج الهائل ، ثم هزّ رأسه ، قائلاً في عصبية :

- من يصدّق هذا ؟!

أجابه (نور) ، وهو يتأمّل ذلك المخ الرهيب ، للمرة العشرين :

- لو لم أره بعينيّ ، لما صدقت أبدًا يا (أكرم) ، ولكن هذا يفسّر الكثير .. بل يفسّر كل شيء تقريبًا .. عودته .. وتضاعف قوته ، وانطلاقه بلا حدود ، ورغبته الثأرية الانتقامية المجنونة .

هتف (أكرم) ، وهو يجاهد ، محاولاً التخلّص من قيود معصميه ، المربوطين خلف ظهره :

- ولكن لماذا ؟! لماذا كل هذا الغضب الجنوني ؟!

انعقد حاجبا (نور) ، وهو يقول :

- لو أنه هناك سؤال ينبغي أن نطرحه ، فهو لماذا اكتفى بأسرنا وسجننا ؟! لماذا لم يقتلنا فورًا بلا رحمة ، كما فعل مع الآخرين ؟!

« لأن فريقك سيبقى ، حتى يشهد فناء العالم أيها المقدّم .. »

انبعث الصوت فجأة فى عقليهما ، قبل أن ينهض ذلك العملاق الرهيب بصورته الوهمية ، من ذلك المخ الرهيب ، ويحتل فراغ الحجرة كله ، ويكمل فى شماتة ساخرة :

ـ وأنتما ستبقيان حتى النهاية .. حتى تشاهدا بعيونكما مصرع فريقكما كله .. كل من أحببتم وعرفتم .. وبعدها ، ستكونون آخر من يبقى ، فى عالمكم كله .

فى موقعه المدلّى من سقف القاعة ، كان (أكرم) يرى ذلك الوجه الضخم ، عديم الملامح ، على قيد سنتيمترات قليلة منه ، وعلى الرغم من هذا، فقد هتف فى غضب :

ـ ومن أنبأك أنك ستبقى ، حتى تبلغ مرادك ؟!

أجابه العملاق الوهمى ، عبر خلايا مخه ، فى شراسة مخيفة :

ـ كل شىء هنا أنبأنى بهذا أيها الوقح .. لقد امتلكت السيطرة الكاملة ، على كافة الأمور ، خاصة وأننى أحتل الآن موقع رئيس جمهوريتكم ، بكل سلطاته وصلاحياته .

اتسعت عينا (أكرم) المحتقنتين ، وهو يهتف فى انزعاج :

ـ الرئيس ؟! يا إلهى !

أما (نور) ، فقد انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يستمع إلى ذلك العملاق الوهمى بكل انتباهه ، مع متابعته المزهوة الوحشية :

ـ كل القيادات تتبعنى الآن ، وتنفذ أوامرى دون مناقشة ، حتى وأنا أعد العدة لضربة نووية ، قادرة على إشعال حرب عالمية جديدة .

وانطلقت من حلقه ضحكة وهمية عالية ، قبل أن يتابع فى شراسة :

ـ حرب قادرة على بدء رحلة الفناء .. فناء عالمكم كله .

هتف به (نور) فجأة :

ـ عالمنا ؟! تتحدث عنه كما لو أنك لست جزءًا منه !! إنه عالمك أيضًا يا هذا .. العالم نفسه ، الذى سيفنى معه ، لو أنه بلغ مرحلة الفناء .

مال العملاق الوهمى نحوه ، قائلاً :

ـ ومن أخبرك أننى أنشد الاستمرار ؟!

شعر (أكرم) برأسه يدور ، ويحتقن أكثر وأكثر ، فى حين ازداد انعقاد حاجبى (نور) ، وهو يقول :

- إنه خيار (شمشون) إذن ، كما ورد فى القصص القديمة .. الانتقام الشامل .. أن تهدم المعبد على رأسك ورءوس الجميع ، فى وقت واحد .

اعتدل العملاق الوهمى ، هاتفًا :

- بالضبط أيها المقدّم .. هدفى هو أن نفنى جميعًا .. أنا وأنتم .. هذا هو الانتقام الأسمى .. أقوى انتقام سجله التاريخ .

قال (نور) فى صرامة :

- التاريخ سيتوقف وينتهى ، إذا ما فنت الأرض أيها الوغد .. وهذا يعنى أن انتقامك هذا لن يسجله أحد ، ولن يشعر به مخلوق بشرى واحد ، حتى ولو كان أقوى انتقام ، فى الكون كله .

صمت العملاق الوهمى بضع لحظات ، قبل أن يقول :

- ربما لن يتم تسجيله على الأرض .

ثم أطلق ضحكة ساخرة ، قبل أن يستطرد فى وحشية :

- ولكنه سيصبح أسطورة ، تتناقلها حضارات الكواكب الأخرى ، حتى نهاية الكون .

سأله (نور) فى حدة :

- وكيف يمكنك أن تضمن هذا ؟!

صمت العملاق لحظات أخرى ، قبل أن يقول فى وحشية :

- لدى خطة .

مع قوله ، أضيئت الشاشات كلها دفعة واحدة فى القاعة ، لتحمل جميعها مشهدًا واحدًا ..

مشهد جسم (س ـ ١٨) الجامد ، داخل كبسولة كبيرة ، مزودة بعدد من الأجهزة الإليكترونية الرقمية الحديثة ..

وبكل انفعاله ، هتف (أكرم) :

- يا إلهى ! (س ـ ١٨) !

أما (نور) ، فقد تساءل فى عصبية :

- متى عاد ؟! وماذا فعلت به ؟!

أجاب العملاق الوهمى ، عبر عقليهما المجهدين :

- ما تريانه أمامكما هو أقوى أسلحة فريقكم .. ذلك الآلى ، الذى لم يهزم قط ، والمعروف باسم (س ـ ١٨) .. كان تاريخه الطويل حافل بانتصارات لاحصر لها .

وحمل صوته الوهمى كل شماتته وزهوه ، وهو يضيف :

- حتى ظهرت أنا .

هتف (أكرم) في غضب ، لم يستطع كبحه ، وهو يواصل محاولاته المستميتة ، لحل قيود معصميه :

- أيها الوغد الحقير .

تجاهله العملاق الوهمي تمامًا ، وهو يواصل :

- لقد استنفدت طاقته كلها ، في هجوم مكثف ، بالغ القوة والعنف ، حتى سقط بلا حراك .

حاول (نور) أن يمنع عقله من التفكير في الأمر ، وفي أن أجهزة (س - ١٨) مبرمجة ، بحيث لا تستنفد طاقتها كلها أبدًا ، وإنما تحتفظ حتمًا بمقدار ضئيل منها ، يسمح للأطلنطي الآلي بالعودة إلى العمل ، عند توافر مصدر طاقة مناسب ، و ...

« لا تحاول أيها المقدم .. » ..

نطقها العملاق الوهمي في سخرية ، قبل أن يميل مرة أخرى ، بوجهه الخالي من الملامح ، نحو (نور) مباشرة ، متابعًا :

- قراءة ما يدور في عقلك ، هو أبسط ما أمتلكه الآن ، من قدرات وطاقات هائلة ، ومهما حاولت حجبه ، فسيمكنني اختراق خلايا مخك ، البيضاء والرمادية ، ومعرفته بأقل جهد .

قال (نور) في تحد :

- لا توجد حتى الآن وسيلة معروفة ، لهزيمة (س - ١٨) ، وهو ليس بشريًا ، بحيث يمكنك اختراق عقله ، والسيطرة على حواسه ، وتجنيد طاقاته لحسابك ، أو حتى تحييدها .

هزّ العملاق الوهمي رأسه في هدوء ، مجيبًا :

- ربما ينطبق هذا على عقولكم ، وليس على عقلي أنا .. أنا مخ جبار أيها المقدم ، لم ولن يوجد مثيل له ، في التاريخ كله ؛ لأنني نتاج طفرة وراثية معقدة ، وتجربة علمية نادرة ..

ثم أشار إلى الشاشات ، متابعًا :

- مقاتلك الآلي محتجز الآن ، داخل كبسولة خاصة ، تحجب عنه كل أنواع الطاقة بلا استثناء ، بحيث لا يمكنه أن يكتسبها أبدًا ، لذا فسيظل مجرد جسم آلي خامل ، لزمن غير معلوم .. نفس الزمن ، الذي تحتاجه مركبة الفضاء ، التي سيتم وضعه داخلها ، وإطلاقه في الفضاء الخارجي ، مع لوح من التيتانيوم(*) ، يحوي تفاصيل انتقامي الفريد ، بلغة يمكن أن تفهمها أية مخلوقات عاقلة في الكون .

(*) تيتانيوم : عنصر فلزي ، أبيض فضي لامع ، رمزه (تي) ، يضاف إلى الصلب ، فيزيد من صلابته قوة وشدة ، له نشاط كيميائي ، يستخدم لصنع بعض الأجهزة ، ومركبات الفضاء ، وإلكترودات القوس الكهربي .

وانطلقت من صورته الوهمية ضحكة ساخرة ظافرة أخرى ، قبل أن يتابع فى وحشية :

ـ أرأيت أيها المقدم .. انتقامى سيسجله الكون كله ، الذى سيعتبر كوكب الأرض مزارًا ، يثبت أن مخًا واحدًا ، يمكنه أن يفنى حضارة بأكملها .

صرخ (أكرم) :

ـ أيها الوغد .. أيها الحقير .. لن تنجح فى مخططك الوحشى أبدًا ، ما دمت على قيد الحياة .

أدار العملاق الوهمى وجهه الخالى من الملامح إليه ، وهو يقول فى وحشية رهيبة :

ـ مازلت متبجحًا كعهدى بك يا هذا .. تتحدث عن القوة والنصر ، وأنت فى قمة الهزيمة والضعف .. إنك لاتستطيع حتى حماية نفسك من انتقامى .. بل ولم تستطع حماية زوجتك .

صرخ (أكرم) بكل الغضب :

ـ لو مسست شعرة واحدة منها أيها الوغد ، فـ ...

قاطعه العملاق ، فى سخرية وحشية رهيبة :

ـ شعرة واحدة ؟! يا لك من أحمق ساذج ! زوجتك ترقد

الآن فى المستشفى العسكرى ، بعد أن حطمت زوجة صديقك (نور) رأسها ، فى محاولة لإنقاذ ابنتها ، التى اعتصرت زوجتك عنقها ، بعد أن شجت جبهة زوجها ، ذلك الطبيب النفسى المتحذلق .

امتقع وجه (نور) فى شدة ، مع ذلك الفيض من الأخبار المفزعة ، وشعر بقلبه يخفق فى غضب ، مع ما أصاب زوجته ورفيقه ، فى حين تفجرت كل ثورة (أكرم) ، وهو يصرخ :

ـ أيها الحقير القذر .. أقسم أن تدفع ثمن هذا .. أقسم أن أحطم غرورك وغطرستك برصاصتى ، كما نسفت رأسك بها من قبل .

أجابه العملاق الوهمى بضحكة ساخرة عالية ، ردّدها عقلاهما على نحو مخيف وهو يتلاشى ..

ويتلاشى ..

ويتلاشى ..

ومع اختفائه تمامًا ، انطفأت شاشات الرصد دفعة واحدة ، وعادت أجهزة الكمبيوتر تسجل منحنيات معكوسة بلغة القوة ..

منحنيات تعلن أن ذلك الخصم الرهيب قد انطلق، بكل طاقاته وقوته، ليستكمل خطة انتقامه ..

ذلك الانتقام الوحشى ..

الرهيب ..

* * *

« ماذا أصابنا يا دكتور (حجازى) ؟! »

هتفت (سلوى) بالعبارة، وهى تبكى فى مرارة، داخل أروقة المستشفى العسكرى، الذى أعلنت فيه حالة الطوارئ القصوى، وتم تزويده ببرنامج الدفاع والتأمين، ذى الموجات فائقة القصر، فربت الطبيب الشرعى على كتفها مواسيًا، وهو يقول فى أسى:

- إنها معركة يا بنيتى .. معركة ضد أشرس قوة عرفها العالم، ولكل معركة ضحاياها ..

انهمرت دموعها فى غزارة، وهى تقول:

- ولكن الثمن هذه المرة فادح .. فادح للغاية يا دكتور (حجازى) .. (رمزى) مصاب بارتجاج عنيف فى المخ، و(نشوى) داخل حجرة العمليات الطارئة، فى محاولة

لإنقاذ عنقها، وعمودها الفقرى، و(مشيرة) .. (مشيرة) التى حطمت أنا رأسها، غارقة فى غيبوبة عميقة، لا يدرى الأطباء ما إذا كانت ستعود منها أم لا ..

كرر الدكتور (حجازى)، وهو يربت على كتفيها مرة أخرى، فى حنان مشفق:

- لكل معركة ضحاياها.

هتفت (سلوى) فى مرارة:

- والله (سبحانه وتعالى) وحده، يعلم كم سيبلغ عدد ضحايا هذه المعركة يا دكتور (حجازى) .. (نور) و(أكرم) ما زالا مفقودين، ولا يمكننا الاتصال بهما، أو معرفة مصيرهما .. كل ما نعلمه هو أنهما هناك .. داخل مركز الأبحاث العسكرى.

انعقد حاجبا الدكتور (حجازى)، وهو يقول فى حزم:

- بالتأكيد .. وهذا ما ينبغى أن نبلغه للمسئولين.

هزت رأسها فى قوة، قائلة:

- أى مسئولين ؟! اتصالنا بالقائد الأعلى مقطوع تمامًا، ولا يمكننا حتى تحديد موقعه، ومؤسسة الرياسة ترفض

إجراء أية اتصالات مباشرة معنا ، على الرغم مما أكدناه لها ، من حساسية وخطورة الأمر ، ووزير الدفاع يصر على ألا يتلقى أوامره وتعليماته ، إلا من الرئيس شخصياً .. من تبقى لتبلغه إذن .

اعتدل الدكتور (حجازى) فى حزم ، وهو يقول :

ـ الدكتور (جلال) ..

رفعت عينيها إليه بحركة حادة ، وهى تدرس الأمر فى ذهنها ..

نعم .. الدكتور (جلال) ، رئيس مركز الأبحاث ، التابع للمخابرات العلمية ، هو الرجل المناسب تماماً ، فى مثل هذه الظروف ..

أو بمعنى أدق ، هو المسئول الوحيد المتبقى أمامها ..

أو الأمل الأخير ..

لو أنه ما زال هناك أمل ..

وبكل حزمها وعزمها ، اعتدلت قائلة :

ـ سأطلب مقابلته فوراً .

قال الدكتور (حجازى) فى اهتمام :

ـ أخبريه كل شىء .. كل معلوماتك ، وحتى شكوكك .. دعيه يصبح واحداً من الفريق .. فى هذه المرة على الأقل .

التقطت (سلوى) نفساً عميقاً ، قبل أن تقول فى حزم صارم :

ـ سأبذل قصارى جهدى يادكتور (حجازى) .

وصمتت لحظة ، قبل أن تجيب فى قوة :

ـ حتى لو اضطررت لمهاجمة مركز الأبحاث العسكرى وحدى .

غمغم الدكتور (حجازى) :

ـ أتمنى ألا تفعلى .

شدت قامتها ، قائلة فى صرامة :

ـ كل ما يمكن أن نتمناه ، هو ألا تصل الأمور إلى هذا المدى ..

قالتها ، واندفعت تغادر المكان كله ، وعقلها يرسم ملامح للهدف الجديد ..

والأمل الجديد ..

والأخير ..

* * *

لم يستطع مدير مكتب الرئيس إخفاء ذلك الاضطراب ، الذى شمله من قمة رأسه ، وحتى أخمص قدميه ، وهو يدلف إلى المكتب ، ويتطلّع إلى صورة الرئيس الوهمية ، قائلاً :

ـ سيادة وزير الدفاع ، ياسيدى الرئيس .

لم ينطق الرئيس بحرف واحد ، وهو يتطلّع عبر نافذة حجرة مكتبه ، فتراجع مدير المكتب فى توتر ملحوظ ، انتبه إليه وزير الدفاع ، وهو يدخل إلى المكان ، فالتقى حاجباه فى حيرة قلقة متسائلة ، وخلع قبعته العسكرية ، ووضعها تحت إبطه ، وهو يقول :

ـ إننا ننتظر أوامرك ، بشأن ذلك الأمر ، ياسيادة الرئيس .

سأله الرئيس فى صرامة ، وهو يوليه ظهره :

ـ وهل يحتم هذا حضورك شخصياً ؟!

كان يمكنه الاتصال بالرئيس ، عبر الهاتف الأحمر الخاص ، الذى يربطه به مباشرة ، والذى يتم تأمينه وحمايته ، على نحو يمنع المراقبة والتنصت ، بأية وسيلة تكنولوجية معروفة ..

وكان يمكنه أن يرسل أركان حربه ..

أو ينتظر الأوامر فى مكتبه ..

ولكنه أتى ..

أتى ليحسم شكاً ما فى أعماقه ..

فى أعمق أعماقه ..

« لم تجب سؤالى بعد .. » ..

نطقها الرئيس فى صرامة شديدة ، على نحو لم يعتد مخاطبة وزير الدفاع به أبداً ، فانعقد حاجبا هذا الأخير ، وهو يجيب فى توتر :

ـ بدا لى الأمر من الخطورة ، بحيث يستلزم حضورى شخصياً ياسيادة الرئيس .

نطقها ، والشك فى أعماقه يتضاعف ..

ويتضاعف ..

ويتضاعف ..

ولكنه شك يصعب حسمه ..

بل يبلغ أقصى درجات الصعوبة ..

فشكوكه لا تحوم حول شخص عادى ..

بل حول رئيس ..

رئيس الجمهورية نفسه ..

وهذا يعنى أن المواجهة ، مجرد المواجهة ، أمر عسير وخطير ..

إلى أقصى حد ..

و ...

« هنا تكمن القوة .. »

نطقها الرئيس فى صرامة ، دون أن يلتفت إليه ، فانتفض جسد الوزير ، وهو يقول :

ـ ماذا يا سيادة الرئيس ؟!

كرّر الرئيس بنفس الصرامة :

ـ هنا تكمن قوة رئيس الجمهورية يا رجل .. إنه السلطة الشرعية للبلاد .. السلطة العليا ، التى يعجز الكل عن توجيه اتهامات مباشرة لها ، دون أن يمتلك أدلة مادية شديدة القوة .

واتسعت عينا الوزير عن آخرهما ..

فالرئيس كان يجيب تساؤلاته ، على نحو واضح مباشر ..

تساؤلاته ، التى دارت فى ذهنه ..

والتى لم ينطقها لسانه قط ..

وبكل دهشة وارتياع الدنيا ، هتف الوزير :

ـ ولكن كيف ..

قبل أن يكملها ، قاطعه الرئيس ، فى لهجة امتزجت صرامتها بسخريتها :

ـ كيف أجبت تساؤلاتك .. أليس كذلك ؟!

تراجع الوزير بحركة حادة ، عندما استدار إليه الرئيس ، بعينين تلتمعان ببريق مخيف ، وهو يتابع :

ـ الواقع أننى لم أجب تساؤلاتك ، وإنما حسمت شكوكك أيها الوزير .. الشكوك التى أتيت بنفسك إلى هنا لحسمها .

انفرجت شفتا الوزير ؛ ليقول شيئًا ما ..

إلا أنه لم يقله ..

لم ينبس حتى ببنت شفة ..

فمع آخر كلمات الرئيس ، تحوّل جسده بغتة إلى سحابة رمادية ، تصاعدت ، وتكاثفت ، لتصنع تلك الصورة الرهيبة ..

صورة العملاق الوهمى الهائل ، الذى أضاف، فى لهجة جمعت بين السخرية والوحشية :

ـ اطمئن يا رجل .. أنا لست الرئيس .

تحركت يد الوزير فى سرعة ، فى محاولة لالتقاط مسدسه ، إلا أن العملاق الوهمى أطلق ضحكة وحشية ساخرة ، وهو يقول :

ـ يالسخافتكم أيها المصريون ! تتصورون أن كل مشكلاتكم يمكن حلها بالسلاح .

ثم مال نحوه ، فى هيئة أكثر بشاعة ، مضيفًا :

ـ ماذا إذن عن العقل ؟!

اتسعت عينا الوزير عن آخرهما ، وشعر بفوران رهيب ، يكتنف رأسه كله ، قبل أن تتفجّر الدماء من أنفه وفمه ، والعملاق الوهمى يتابع فى وحشية :

ـ أليس سلاحًا رهيبًا ؟!

مع آخر حروف كلماته ، تفجّرت الدماء فجأة ، من أنف الوزير وعينيه ، وانطلقت من حلقه شهقة مكتومة ، تناثرت معها الدماء من بين شفتيه ، قبل أن يهوى جثة هامدة كالحجر ..

وفى هدوء ولا مبالاة ، ألقى العملاق نظرة أخيرة على جثة الوزير ، ثم عاد يتشكّل فى هيئة الرئيس ، وغمغم وهو يتجه نحو شاشات الرصد :

ـ مسئول آخر سقط .. عظيم .

وتوقّف أمام شاشات الرصد ، التى تحمل كلها صورة (س ـ ١٨) ، داخل كبسولة حجب الطاقة ، مع عد تنازلى فى الركن ، يعلن أن انطلاق مركبة الفضاء ، التى ستحمله إلى أعمق أعماق الكون يقترب ..

ويقترب ..

ويقترب ..

وبلهجة ظافرة ، غمغم ذلك الخصم الرهيب :

ـ والآن ، ستفقد الأرض أقوى أسلحتها الدفاعية .. إلى الأبد .

مع نهاية كلماته ، أعلن العد التنازلى بلوغ الصفر ..

وانطلقت مركبة الفضاء ..

انطلقت حاملة (س ـ ١٨) إلى المجهول ، ومعلنة أن ذلك الخصم الرهيب ، والعملاق الوحشى ، الناشئ عن المخ المزدوج الجبار ، قد صار أقوى سلاح عرفه تاريخ الأرض ..

أقواها ، وأكثرها شرًا وخطورة ..

على الإطلاق .

* * *



٥ ـ موجة عقل ..

« كيف يمكننا أن نهزم خصمًا كهذا يا (نور) ؟! »

نطق (أكرم) العبارة ، وهو يجاهد حتى لا يفقد وعيه ، مع هذا الوضع المقلوب ، الذى احتقن له دماغه بالدماء ، ويداه تتصارعان ، فى محاولة للتخلص من قيوده ، فالتفت (نور) حوله ، قائلاً فى صرامة :

ـ كل مخلوق له نقطة ضعف يا صديقى ، مهما أوحت الأمور بعكس هذا .

أمال (أكرم) رأسه ، على نحو مؤلم ، ليلقى نظرة على ذلك المخ الهائل المخيف أسفله ، قبل أن يقول فى عصبية :

ـ وما نقطة ضعف شىء كهذا ؟!

عاد (نور) يتلفت حوله ، قبل أن يجيب فى حزم :

ـ لو تطلّعت جيدًا ، لوجدت أن له عشرات من نقاط الضعف يا (أكرم) .. إنه يحيا بوجود ذلك السائل الحيوى ، الذى يحيط به ، والذى تنظمه ، وتحافظ على كثافته وحرارته ، كل هذه الأسلاك ، وبرامج الكمبيوتر المتطورة ، والأجهزة الإليكترونية والرقمية الحديثة ، التى تحيط بنا .. وكل وحدة من هذه ، تمثل نقطة ضعف بالنسبة له .

قال (أكرم) ، وهو ما زال يستميت ، لحل قيوده :

ـ لهذا يحميها ويدافع عنها ، بقوة لم يعرف العالم مثيلاً لها أبداً ..

قال (نور) فى صرامة :

ـ لن يستمر هذا إلى الأبد .

وتطلع إلى الوعاء الزجاجى الكبير ، الذى يحوى ذلك المخ المزدوج هائل الحجم ، قبل أن يضيف فى حزم :

ـ شرخ واحد ، فى جدار هذا الوعاء ، يكفى لتدميره تماماً .

صاح (أكرم) ، والآلام تسرى فى ذراعيه ومعصميه ، مع استمرار محاولاته للتخلص من القيود :

ـ بل قل رصاصة واحدة يا (نور) .. رصاصة أخرى ، أطلقها على ذلك الحقير ، فيزول غروره ، وتنهار غطرسته ، ويتحول إلى كتلة هائلة ، من الخلايا الميتة .

ثم عض شفتيه ، وهو يستطرد فى مرارة :

ـ آه لو لم يكن قد سيطر على (س ـ ١٨) .

حمل صوت (نور) مزيجاً من الغضب والصرامة ، وهو يقول :

ـ لقد دافعنا عن أرضنا ، قبل أن يأتى (س ـ ١٨) ، وسنواصل الدفاع عنها ، حتى لو خسرناه إلى الأبد .

وأدرك (أكرم) ما يشعر به (نور) تماماً ..

فعلى الرغم من أن (س ـ ١٨) مجرد شخص آلى ، إلا أنه هناك رابطة خاصة للغاية ، تربطه بـ (نور) ..

بل وبالفريق كله ..

رابطة صارت أشبه بصداقة متينة ، على الرغم من كل ما تحويه الكلمة من تناقض منطقى عجيب ..

ولكنها الحقيقة ..

الحقيقة التى يشعر بها الجميع ، منذ فترة طويلة ..

ـ هو نفسه أصبح يبتهج لرؤية (س ـ ١٨) ، ويشعر بالأمن والأمان لوجوده ، على الرغم من طبيعته البرية المستقلة ، التى ترفض دوماً الاعتماد على الآخرين ، فى التأمين والحماية ..

وفى مرارة حقيقية ، غمغم (أكرم) :

ـ هل تعتقد أنه سيعود يا (نور) ؟!

ازدرد (نور) لعابه ، فى محاولة لتخفيف مرارته وحزنه ، وهو يجيب :

ـ بل قل : هل سنظل على قيد الحياة ، عندما يعود ؟!

شعر (أكرم) بتهتك تام ، مع محاولاته المتواصلة والمرهقة ، للتخلص من قيوده ، فترك جسده يسترخى ، وهو يغمغم :

ـ ليس المهم أن نبقى نحن يا (نور) .. المهم أن تبقى (مصر) .

لم يعلّق (نور) على عبارته ، وهو يكتم غصّته وآلامه ، وعاد يدور ببصره فيما حوله ، وهو يبحث عن وسيلة ما ، للخروج من هذا الموقف العصيب ..

ففى أعمق أعماقه ، وعلى الرغم من صعوبة الموقف ودقته ، كان يؤمن بأنه هناك حتمًا مخرج ما ..

ثغرة ما ..

فى مكان ما ..

وعليه أن يجد هذه الثغرة بأى ثمن ..

وفى الوقت المناسب ..

قبل أن ينجح ذلك الخصم الرهيب ، فى تنفيذ انتقامه البشع ..

بل وقبل أن ...

« قبل ماذا أيها المقدّم ؟! »

انبعث القول فجأة ، فى أعمق أعماق عقليهما ، مع نهوض ذلك العملاق الوهمى ، من موضع المخ المزدوج الرهيب ، فغمغم (أكرم) فى مرارة :

ـ لا .. ليس ثانية .

كان يشعر بإرهاق غير محدود ، من جراء محاولاته المستميتة للتخلص من قيوده ، والتى لم تؤت ثمارها أبدًا ، فترك جسده يسترخى ، فى ذلك الوضع المقلوب ، وترك عقله يستقبل كلمات ذلك العملاق ، الذى بدا أكثر قوة وضخامة عن المرة السابقة ، وهو يتابع :

ـ أفضل ما فى صراعى معك ، هو أنك مثلى تمامًا .. تكمن قوتك كلها فى عقلك .. فى ذكائك ، وبراعتك ، وعبقريتك فى مواجهة الأزمات .. لقد استمتعت كثيرًا بالتوغل فى عقلك ، وأنت تبحث عن مخرج من أزمتك هذه .

شعر (أكرم) بدهشة بالغة ، عندما بدا (نور) هادئًا للغاية ، وهو يقول لذلك العملاق فى تحدٍّ :

ـ وهل تسمى هذا صراعًا ؟!

أطلق العملاق الوهمى ضحكة ساخرة وحشية ، قبل أن يقول :

ـ بل أسميه انتصارًا .. انتصارًا ساحقًا ، على كل الجبهات أيها المقدّم ..

مع قوله ، تلاشى جسده الوهمى ، وعاد يتشكل ، فى هيئة العميد (ماهر) ، ثم تحول منها إلى هيئة وزير الدفاع ، ثم القائد الأعلى للمخابرات العلمية ، قبل أن يستقر فى هيئة الرئيس ، فهتف (أكرم) ، ذاهلاً :

- مستحيل !

بدا وكأن هتافه الذاهل قد راق كثيرًا للعملاق ، الذى أطلق ضحكة ظافرة شرسة ، واحتفظ بهيئة الرئيس ، متابعًا :

- كل أجهزة الدولة الآن تتلقى أوامرها من كبار القادة ، ورجال الأمن والسياسة ، وكلها بلا استثناء تعمل على تنفيذ الخطة الدفاعية (خطر - ٣) ، التى وجدتها فى عقول الرئيس ، ووزير الدفاع .. وكذلك قائدك الأعلى ، الذى لم يعد ظهوره منطقيًا ، بعد أن لقى حتفه ، بأسلحة طاقم أمن الرئيس ..

غمغم (نور) :

- أيها الحقير .

أطلق العملاق ضحكة وحشية أخرى ، وهو يقول :

- بل قل أيها الظافر المنتصر .. ألا تعرف تفاصيل الخطة الدفاعية (خطر - ٣) أيها المقدم ؟!

لم يجب (نور) تساؤله ، فتابع فى زهو شرس :

- إنها الخطة التى لا يفترض تنفيذها ، إلا فى حالات الطوارئ القصوى ، عندما تشن قوة أخرى هجومًا شاملاً .. فى هذه الحالة يتم الرد عليها بكل الوسائل المتاحة .. الصواريخ ذات الرءوس النووية ، ومدافع الليزر الفضائية ، وقنابل البروتون .. ولقد أصدرت أوامرى ، باعتبارى رئيس الجمهورية ، والقائد الأعلى للقوات المسلحة ، ثم أيدتها باعتبارى وزير الدفاع ، وصاحب القرار العسكرى السياسى ، بأن يتم الرد على ثلاث جبهات .. (الصين) ، والولايات المتحدة الأمريكية ، والاتحاد الأوروبى .

امتقع وجها (نور) و (أكرم) ، فى حين أطلق ذلك العملاق الوهمى ، فى غياهب عقليهما ضحكة مجلجلة ..

ضحكة أكثر وحشية ..

وأكثر ظفرًا ..

ضحكة أعقبها بقوله :

- ترى كيف تتوقعان النتائج ؟!

صرخ (أكرم) :

- وما الذى ينبغى أن نتوقعه ، أيها الوغد الحقير .

أما (نور) ، فقد انفرجت شفتاه ، ليقول شيئًا ما ..

ولكن فجأة ، ارتجّ عقله في قوة ..

ارتجّ مع اتصال فائق قوي ..

اتصال لم يكتف بالتوغُّل في أعمق أعماق عقله ، وإطلاق موجة عقلية هائلة عبره ، بل انبعث أيضًا من بين شفتيه ، ليقول :

ـ المعركة لم تُحسم بعد .

ولأول مرة ، منذ بدأ الصراع ، انتفض العملاق الوهمي في قوة ، وتراجع كالمصعوق ، وهو يستعيد هيئته ..

(أكرم) أيضًا ، شعر بارتجافة عنيفة ، تسري في أوصاله كلها ، وهو يحدق في وجه (نور) ، بعينين احتقنتا بالدم في شدة ..

فذلك الصوت ، الذي خرج بكل هذا العمق ، من بين شفتي (نور) ، لم يكن صوته حتمًا ..

بل كان صوتًا آخر ..

صوت مألوف للغاية ..

ومع الصوت ، راحت صورة وهمية أخرى ، تتكون في القاعة ..

صورة يمكن اعتبارها بمثابة تحول ، في مسار الصراع ..

تحول جوهري ..

وعنيف ..

للغاية ..

* * *

استقبل الدكتور (جلال) ، رئيس مركز الأبحاث ، التابع للمخابرات العلمية ، (سلوى) في اضطراب واضح ، وصافحها في توتر ، قبل أن يشير إليها بالجلوس ، قائلاً :

ـ ماذا أصاب فريقكم يا (سلوى) ؟! منذ تلقيت اتصالك ، وأنا أتابع الموقف ، على كل الجبهات ، والواقع أن الأمور كلها مضطربة ، على نحو مخيف .

سألته (سلوى) في قلق :

ـ هل من جديد ؟!

التقط الرجل نفسًا عميقًا ، قبل أن يجيب ، بكل توتر الدنيا :

ـ لقد أطلقوا خطة (خطر ـ ٣) .

انتفض جسدها في قوة، مع سماعها ذلك المصطلح، الذي لا تعرف تفاصيله بدقة، ولكنها تدرك أنه يعني وصول الأمور إلى أقصى مدى ممكن ..

بل وقد تعني حربًا عالمية طاحنة ..

وفناء ..

فناء تام ..

فمع ذلك التقدم المذهل والمخيف، الذي بلغته أسلحة الدمار، ونظم الأمن والدفاع، يكفي أن تنطلق شرارة واحدة، ليتحول العالم كله، في غضون دقائق معدودة، لا تتجاوز أصابع اليد الواحدة، إلى أتون من اللهب ..

أتون قادر على التهام البشر ..

كل البشر ..

بلا استثناء ..

وبلا رحمة ..

وبكل ذعرها وهلعها، هتفت:

ـ وكيف يحدث هذا ؟! أين الرئيس، ووزير الدفاع، و ...

قاطعها الدكتور (جلال) بنفس التوتر المضطرب:

ـ لست أدري ماذا يحدث يا بنيتي! الرئيس أصدر الأمر، ووزير الدفاع أيّده، وكل شيء يسير وفقًا للقانون والدستور، وليس على القادة سوى التنفيذ.

هتفت:

ـ وماذا عن القائد الأعلى ؟!

بدا أكثر توترًا واضطرابًا، وهو يجيب:

ـ لا أحد يدري .. لقد ذهب لمقابلة رئيس الجمهورية، ثم لم نتلق منه أية اتصالات بعدها .. لا أحد يعلم أين هو، ولا ماذا أصابه يا (سلوى) ؟!

ثم ضرب سطح مكتبه بقبضته، مستطردًا:

ـ هناك شيء ما يجري .. شيء خطير .. شيء يتعلق بـ ...

قاطعته هي هذه المرة:

ـ بذلك المسخ.

حدق في وجهها بشيء من الذعر، قبل أن يقول في خفوت:

ـ بالتأكيد.

حاولت أن تسيطر على أعصابها وانفعالاتها ، وهي تقول :

ـ لو أردت رأيي ، فقد سيطر على الرئيس ووزير الدفاع .. إنه يدير البلاد الآن في هيئتهما ، ويقودها والعالم كله إلى دمار شامل .

ارتجف صوته ، وهو يغمغم :

ـ بل إلى فناء يابنيتي .. فناء تام .

امتقع وجهها بشدة ، وذهنها يكوّن تلك الصورة المفزعة ، وتراجعت في مقعدها ، في رعب واضح ، قبل أن تستعيد في أعماقها صورة ابنتها ، وزوجها ، و ...

« لايمكن أن نجلس ساكنين ، في انتظار الفناء ! »

نطقت العبارة في حدة ، فتلفّت الدكتور (جلال) حوله ، وكأنما يخشى أن يسمعه أحد ، قبل أن يسألها في حذر :

ـ ماذا تقترحين ؟!

بدأ الانفعال يسري في عروقها وكلماتها ، وهي تجيب :

ـ (نور) و (أكرم) هناك .. في مركز الأبحاث العسكرية .

ازدرد لعابه في صعوبة ، مغمغمًا :

ـ أعلم هذا .

أشارت بسبابتها ، متابعة :

ـ ذلك الشيء يحتجزهما هناك .

قال في سرعة وتوتر :

ـ لو أنه قد تخلّص منهما .

ارتجفت عروقها مع عبارته ، وشحب وجهها على نحو مخيف ، وهي تقول :

ـ لا .. لايمكن أن يكون قد فعلها .

سألها الدكتور (جلال) في توتر :

ـ وما الذي سيمنعه ؟!

اغرورقت عيناها بدموع الرعب والهلع ، وذهنها يطرح على قلبها الملتاع السؤال ذاته ..

نعم .. ما الذي سيمنعه ؟!

ما الذي يمكن أن يمنعه من القضاء عليهما ، لو أنه قد ظفر بهما بالفعل ؟!

أي شيء يمكن أن يقيهما منه ؟!

أي شيء ؟!

انهارت أعماقها مع الفكرة ، وشعرت بغصة في حلقها ، منعتها من النطق ، وجعلتها تنكمش في مقعدها ، على نحو أثار شفقة الدكتور (جلال) ، وجعله يقول في سرعة :

ـ دعينا نفترض أنهما على قيد الحياة .. ما الذي يمكن أن نفعله إذن ؟!

قاومت مرارتها وارتياعها ، لتقول في حزم :

ـ أن نسعى لإنقاذهما .. وبأي ثمن .

بدا صوته شديد الإحباط واليأس ، وهو يهمس :

ـ وكيف ؟!

أجابته في سرعة ، وكأنها تعرف الجواب مسبقًا :

ـ نقتحم مركز الأبحاث العسكرية .

خُيِّل إليها أن كل ذرة في كيانه قد انتفضت في عنف ، وهو يحدق فيها بعينين بلغتا ذروة اتساعهما وذعرهما ، قبل أن يهتف ، بصوت اختنق نصفه في أعماق حلقه :

ـ ماذا ؟!

واصلت بنفس السرعة :

ـ هل تذكر مدفع الموجات الصوتية ، الذي شاركت في

تطويره ، مع فريق من مركز الأبحاث ؟! إنه قادر على هدم أسوار المركز ، و ...

قاطعها في ارتياع :

ـ ماذا تقولين يا (سلوى) ؟! ما تقترحينه يعد جريمة خيانة عظمى ، تستوجب القتل رميًا بالرصاص ، وفقًا للقانون العسكري !!

أجابته في صرامة :

ـ وما يحدث حولنا هو كارثة ، وفقًا للقانون الإنساني .. إنهم يسعون لإشعال نيران الحرب العالمية .. حرب الفناء الأخيرة ، التي تحدثت عنها الكتب القديمة ، ونسجت خيوطها أساطير لا حصر لها .. يسعون لفنائنا جميعًا ، وأنت تخشى القانون .

هز رأسه في قوة ، قائلاً :

ـ لسنا ندري لماذا فعلوا هذا !

هبت من مقعدها ، هاتفة :

ـ أي سبب يمكن أن يدفعهم إلى خطوة رهيبة كهذه ؟! هل سجلت الأجهزة هجومًا ؟! أو حتى محاولة هجوم ؟! هل

رصدتم انطلاق صاروخ نووى نحونا ، أو سجلتم إصابة مطبخ ليزرى فضائى ، لقطعة من قطع جيوشنا ؟!

بدا حائرًا مضطربًا ، وهو يغمغم :

ـ مركز الأرصاد الفلكية سجل قدوم جسم غريب من الفضاء ، و ...

قاطعته فى غضب :

ـ فقررت القيادة مواجهته ، بتوجيه ضربة نووية ليزرية إلى أقوى قياداتك فى الأرض .. أليس كذلك ؟!

تراجع فى مقعده ، وهو يحدّق فيها فى ارتياع شاحب ، فمالت نحوه ، وضربت سطح مكتبه بقبضتها ، مضيفة :

ـ لاتتردّد يادكتور (جلال) ؛ فالوقت لايسمح بهذا .. اتخذ قرارك فورًا ، ولا تضيع لحظة ، قد تندم على فقدها فيما بعد .

زاغت عينا الرجل ، وهو يتطلّع إليها فى حيرة ، وانخفض صوته كثيرًا ، وهو يتمتم فى توتر :

ـ وماذا بعد أن نهدم الأسوار ؟!

خفق قلبها فى قوة مع عبارته ، التى تعنى أنه قد استجاب لتدفقها ، وتركت كلماتها تموج بانفعالاتها ، وهى تقول :

ـ بعدها ، سأمنحكم تطويرًا جديدًا ، لمدفع الموجات فوق الصوتية .. تطويرًا قد يقلب الموازين كلها .

ومالت نحوه أكثر ، مكملة ، بكل الحزم والعزم :

ـ بل قد ينقذ العالم من مصير رهيب .. رهيب للغاية .

وامتقع وجه الدكتور (جلال) أكثر وأكثر ..

لما يوشك على اتخاذه ، كان أخطر قرار فى حياته كلها ..

أخطر قرار ..

على الإطلاق ..

* * *

من المؤكّد أنه لم يكن من السهل أبدًا ، أن يصدّق (نور) و(أكرم) ما يرياه أمامهما ، داخل قاعة الأبحاث الرئيسية ، فى المركز العسكرى ..

فهناك ، وعلى مسافة أمتار قليلة ، من ذلك العملاق الوهمى ، تشكّل جسد عملاق آخر ..

جسد (محمود) ..

عضو الفريق السابق ، الذي بذل نفسه في سبيل الآخرين ، في مجرى الزمن(*) ، ثم عاد ليؤازرهم ، كطاقة صافية فيما بعد(**) .

ولثوان ، ران على المكان صمت رهيب ، قبل أن يقطعه (أكرم) ، مغمغمًا في ذهول :

ـ (محمود) ؟! مستحيل !! أهو أنت حقًّا ؟!

جاءت الإجابة في شكل زمجرة وحشية ، أطلقها ذلك العملاق الوهمي ، واستجاب لها (محمود) ، قائلاً :

ـ وجودي يزعجك كثيرًا أيها الوغد .. أليس كذلك ؟!

التقط (نور) نفسًا عميقًا ، قبل أن يهتف ، وصوته يحمل ارتياحًا غامرًا :

ـ بالتأكيد يا صديقي ، فأنت الخصم المناسب له تمامًا .. خصم بلا جسد ..

أشار (محمود) إلى ذلك المخ المزدوج الرهيب ، داخل الوعاء الزجاجي ، وهو يقول :

(*) راجع قصة (الزمن = صفر) .. المغامرة رقم (١٠٠) .

(**) راجع قصة (الفجوة السوداء) .. المغامرة رقم (١١٠) .

ـ بل ربما كنت خصمًا أكثر قوة يا (نور) ، فليس لدى حتى مخًا ضخمًا ، لابد وأن أبذل الجهد لرعايته ، والحفاظ عليه .

زمجر العملاق الوهمي مرة أخرى ، قبل أن يقول في وحشية :

ـ هراء ! ربما وجدت الطاقة اللازمة ؛ لتخرج من فراغك اللانهائي ، وتبدو في تلك الصورة الوهمية أمامهما ، ولكن هذا لا يعني أن طاقتك العقلية يمكن أن تنافس قوتي وقدراتي .

أشار (محمود) بسبابته ، قائلاً :

ـ ربما يكون هذا صحيحًا ، لو أنني أعتمد على طاقتي وحدها .

ثم اعتدل ، وبدا أكثر قوة وثقة ، وهو يضيف :

ـ وليس على عقولهم .

لم يكد ينطقها ، حتى شعر (نور) أن عقله ينسحب من تلك القاعة ، داخل مركز الأبحاث العسكرية ..

وينطلق ..

ينطلق عبر الزمان والمكان إلى هناك ..

إلى ذلك المعبد القديم ، في أعماق جبال (التبت) ..

حيث تبقى من المذبحة راهبان ..

راهبان مصلبان ، توقف عقلاهما عند قوة محدودة بإطار واضح ..

قوة ، انتزعا كل تفاصيلها من عقل (نور) ..

قوة بلا جسد ، تسبح في فراغ زمني بلا نهاية ، ويمكنها أن تواجه ذلك العقل الجبار ، دون أن تخسر شيئاً ..

أو تخشى شيئاً ..

ولكن الاتصال بتلك القوة يحتاج إلى طاقة عقلية هائلة ..

طاقة متآزرة ، يمكنها أن تخترق الزمان والمكان ..

كل الزمان ..

وكل المكان ..

وكل الأبعاد أيضاً ..

ووحدهما ، لن يمكنهما أبداً إجراء مثل هذا الاتصال ..

لذا كان عليهما استنفار كل ذرة من كيانهما ، إلى أقصى حد ممكن ..

وكلاهما يدركان جيداً ، وهما يقومان بعملهما هذا ، أن عقليهما لن يحتملا ذلك الجهد الجبار أبداً ..

وأن شرايين دماغيهما ستنفجر في النهاية ..

وهذا هو الثمن ..

الثمن ، الذي لم يترددا لحظة واحدة في دفعه ..

ففي اعتقادهما ، كانت حياتهما ثمناً رخيصاً ، لما يمكن تحقيقه ..

فلو أمكنهما إتمام الاتصال ، بتلك القوة المناسبة ، قد يتغير مصير العالم ..

وبكل قوتهما ، تركا عقليهما ينطلقان ..

وينطلقان ..

وينطلقان ..

وعلى الرغم من اعتصارهما كل ذرة من عقليهما ، ظل الاتصال مستحيلاً ..

للغاية ..

ولأن طبيعتهما لا تستسلم أبداً ، لما يتصور الآخرون أنه الفشل ، راح عقلاهما يبحثان عن حل آخر ..

ودون تبادل كلمة واحدة ، توصلا معًا ، في آن واحد إلى الحل ..

الاتحاد ..

اتحاد العقول ..

كل العقول ..

عقول كل الرهبان التبتيين ، في كل مكان في العالم ..

في (آسيا) ..

و (أوروبا) ..

وحتى الولايات المتحدة الأمريكية نفسها ..

وعبر عقليهما المتآزرين ، انطلقت الرسالة ..

انطلقت إلى كل العقول ..

أكثر من ألفي راهب تبتي ، تلقوا الرسالة ، في اللحظة ذاتها ، في مختلف أنحاء العالم ..

رسالة تقول : إن المستقبل في خطر ..

مستقبل الأرض ..

والبشر ..

جميعهم ..

ولا بد وأن يتآزر الجميع ..

وأن تتحد العقول ..

كل العقول ..

وفي كل مكان ، ودون أن ينطق أحدهم بكلمة واحدة ، اتخذ كل راهب تبتي الوضع نفسه ..

وضع جلوس القرفصاء ، وإغلاق العينين ، وإطلاق طاقات المخ ..

إلى أقصى حد ..

انطلقت كل العقول ، في آن واحد ، نحو هدف واحد ..

هدف يتجاوز الزمان ، والمكان ، والأبعاد ..

هدف يستقر في نهر الزمن ..

ووسط فراغ زمني ، بلا بداية ..

وبلا نهاية ..

ووسط سجنه ، الذي اعتاد رائحة اليأس فيه ، تلقى (محمود) الاتصال ..

الاتصال العقلي الفائق ، الذي منحه كل الطاقة اللازمة ، ليتجسد في صورة هلامية ، في مقر الفريق ..

وهناك ، ارتطمت طاقته بتلك الطاقة السلبية ، التي تركها ذلك المسخ الرهيب خلفه ، والتي سيطر بها على جزء من عقل (مشيرة) ..

وتشابكت مع برنامج الحماية ، للموجات فوق الصوتية ، فائقة القصر ..

وعندما أدرك الرهبان هذا ، اعتصروا عقولهم أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

ومنحوه طاقة هائلة ..

طاقة جعلته يواجه ذلك المسخ ، في صورة عملاقة مماثلة ،

و ...

وانتفض جسد (نور) مرة أخرى ، عندما انتهت تلك الصورة البصرية في مخه ..

واتسعت عيناه على نحو عجيب ، مع ذلك الفيض الهائل من موجات العقل ، الذي يعبر مخه ، قبل أن يصنع صورة (محمود) ، المتجسدة أمامهم ، في ذلك المشهد الوهمي العملاق ..

أما العملاق الوحشي ، فقد أطلق زمجرة رهيبة غاضبة ، توحي بأن مخه المزدوج الضخم ، قد التقط نفس المشاهد العقلية البصرية ، التي استوعبها عقل (نور) ، قبل أن يصرخ بكل الشراسة :

ـ هراء .

ثم ارتفعت قبضته القوية المخيفة أمامه ، وهو يضيف :

ـ هل تصورتم أن اتحاد عقولكم ، وتركيزها على ذلك الخصم عديم الجسد ، يمكن أن يكفل لكم الفوز ؟! يالكم من واهمين !! ربما كان بالفعل بلا جسد ، وبلا خلايا يتطلب الأمر بعض الجهد الضئيل ، للحفاظ على استمراريتها ، إلا أن هذا لا يجعله أبدًا ندًا لقوتي وطاقتي .

وبخطوة مخيفة ، اتجه نحو صورة (محمود) العملاقة ، مستطردًا في وحشية شرسة :

ـ عقولهم كلها لم تعد كافية لمواجهتي يا هذا .. حتى مع وجودك ، وقدراتك العقلية المحدودة .. مخي أنا سيضرب طاقتك كلها ..

بدا من الواضح ، أن (محمود) يعاني آلامًا شديدة ، مع تراجعه ، وذلك التموّج الذي شمل صورته ، في حين واصل العملاق الوحشي تقدمه نحوه ، مواصلاً :

- سأشتتها ، وأبعثرها ، وأطلق كل فيض منها في اتجاه مختلف ، بحيث يتناثر كيانك ، ولا يعود لك وجود أبداً .

مع قوله ، تموّجت صورة (محمود) أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

وعلى ملامحها ارتسمت آيات العذاب ..

العذاب الشديد ..

وكما هدأ العملاق الوهمي تماماً ، بدا وكأن صورة (محمود) تتشقق ..

وتتبعثر ..

وتتفكك .

وعذاب ملامحه يتضاعف ..

ويتضاعف ..

ويتضاعف ..

بلا حدود ..

وبكل اليأس والمرارة ، هتف (أكرم) :

- اتركه أيها الوغد ..

أما (نور) ، فقد بدا جامداً ، على نحو عجيب ، وهو يراقب ما يحدث ، وما يثبت أنه ، على الرغم من المحاولة المستميتة لرهبان (التبت) ، في كل أنحاء العالم ، مازال ذلك المخ المزدوج الهائل هو الأكثر قوة ..

والأكثر وحشية ..

والأكثر سيطرة ..

والظافر الأول والأوحد ..

في معركة الفناء ..

فناء العالم ..

كله .

* * *

٦ ـ بلا أمل ..

لم يبد الدكتور (جلال)، فى حياته كلها، بمثل هذا التوتر العنيف، الذى بدا عليه، وهو يجلس داخل تلك السيارة الخاصة المصفحة، التى تتسلل وسط الأطلال الكئيبة فى حذر زائد، مقتربة من مركز الأبحاث العسكرية ..

وبكل هذا التوتر، غمغم:

ـ ما زلت أكرر أن ما سنقدم عليه، يعد خيانة عظمى، و ...

استوقفته (سلوى)، وهى تناوله المنظار المقرّب، قائلة:

ـ استخدم برنامج الحماية، الذى تمدك به السماعات الواقية، وتطلّع إلى أطقم الحراسة.

التقط الدكتور (جلال) المنظار من يدها، ووضعه على عينيه، وهو يغمغم:

ـ كل ما أخشاه، أن نكون قد أخطأنا الـ ...

قبل أن يتم عبارته، انعقد حاجباه فى شدة، وشعر بقلبه يخفق فى عنف ..

فالجنود، الذين كان يراهم فى وضوح، أمام المركز، وفى أبراج حراسته، تحولوا فجأة إلى صور مهتزة مشوشة، راحت تظهر وتختفى، كما لو أنها صورة باهتة، على شاشة تلفاز قديم ..

وبكل دهشة الدنيا، هتف الدكتور (جلال):

ـ رباه! أنت على حق يا (سلوى).

غمغمت فى انفعال:

ـ يؤسفنى أنك لم تثق فى هذا منذ البداية.

وضع المنظار المقرّب على عينيه مرة أخرى، وكأنما يرغب فى التيقن من الأمر، قبل أن يقول فى حزم:

ـ سنستخدم المدفع الآن.

أشارت بيدها، قائلة:

ـ لا .. ليس الآن.

بدت الدهشة واضحة، فى ملامحه وصوته، وهو يقول:

ـ ألم تقولى: إن لكل لحظة ثمنها؟!

أجابته، وهى تضغط أزرار إعداد مدفع الموجات فوق الصوتية، قائلة فى انفعال:

- بلى ، ولكن خطتي تعتمد على مابعد إطلاق المدفع ، وهدم الأسوار ..

رآها تدس أسطوانة مدمجة صغيرة ، في الكمبيوتر الملحق بالمدفع ، فسألها في توتر :

- ماذا تفعلين بالضبط ؟!

أجابته بنفس الانفعال ، وأصابعها تعمل في سرعة ، على لوحة أزرار الكمبيوتر :

- هذا المدفع مجهز ، بحيث يطلق موجات مكثفة من فوق الصوتيات ، تكون لها قوة تدميرية ، تعادل نصف طن من المتفجرات التقليدية ، وما أحاول فعله ، هو تعديل برنامجه ، بعد الضربة الأولى ، بحيث أضيف إليه تلك الموجة المضادة ، فائقة القصر ، عندما ينطلق عبر الأسوار المفتوحة فيما بعد ، مع تعديل قوته التدميرية الفائقة .

وصمتت لحظة ، قبل أن تضيف في عصبية :

- إنني لا أرغب في هدم المبنى نفسه ، على رأسي (نور) و (أكرم) ، لو ...

بترت عبارتها بغتة ، وهي تعض شفتها في مرارة ..

وفهم الدكتور (جلال) ما الذي لم تجرؤ على نطقه ، ولكنه تجاهل هذا تمامًا ، وهو يسألها :

- وهل تعتقدين أنه سلاح كاف ؟!

هزت رأسها في توتر ، مجيبة :

- لست أدري كم بلغت قوته بالضبط .

سرت في جسده قشعريرة باردة ، وهو يقول :

- إذن فلست واثقة من النتائج .

أجابته في صرامة ، وأصابعها تواصل عملها في سرعة ، على أزرار الكمبيوتر الملحق بالجهاز :

- في حياتنا كلها ، لم نخض معركة واحدة ، مضمونة النتائج .

هتف في عصبية :

- ولكننا لو فشلنا في إيقافه هذه المرة ، و ...

قبل أن يتم عبارته ، قال أحد أفراد الطاقم المصاحب لهما ، في توتر شديد :

- سيدي .. لقد حدث أمر عجيب هناك .

أدار الدكتور (جلال) و(سلوى) عيونهما نحو مركز الأبحاث العسكرية في سرعة ، واختطف الدكتور (جلال) المنظار المقرّب ، وهو يضعه على عينيه ، قائلاً :

ـ رباه ! هل ..

ودون أن يتم عبارته ، حدّق في المركز ، عبر المنظار المقرّب في دهشة عصبية ..

فلسبب ما ، لم يجد له تفسيراً ، اختفى كل الجنود الوهميين ، من أسوار المركز ..

اختفوا تماماً ..

ودفعة واحدة ..

« ترى ما الذي يحدث هناك ؟! »

نطقتها (سلوى) بكل توتر الدنيا ، وقلبها يرتجف بين ضلوعها في عنف ..

فمع خبرتها الطويلة ، في هذا المضمار ، كان ذلك التغير المفاجئ يعني حدوث تطور ما هناك ..

في قلب مركز الأبحاث العسكرية ..

أو قلب الجحيم ..

* * *

لم يعد هناك أمل ..

ذلك المخ المزدوج الجبار ازداد قوة ، على نحو مخيف ..

حتى اتحاد عقول الرهبان ، لم ينجح في هزيمته ..

أو كبحه ..

أو حتى إيقافه ..

وها هو ذا يستنفر كل قوته ..

ويهاجم ..

بمنتهى العنف ..

والوحشية ..

والرغبة العارمة في الثأر ..

وفي يأس مرير ، راقب (أكرم) صورة (محمود) ، وهي تنهار ، وتتشتت ..

وتتشتت ..

وتتفتت ..

ومع العذاب المرتسم على ملامحه ، أدرك أن هذا ما يعانيه محمود نفسه بالفعل ..

فبعد سنوات طوال ، فى سجن انفرادى رهيب ، وسط فراغ زمنى لامحدود ، لم يحتمل هو نفسه البقاء فيه لساعات محدودة[*] ، عاد لينهار مرة أخرى ، فى عالمه الأصلى ..

وكل هذا أمام عينيه ..

وعينى (نور) ..

(نور) ، الذى بدا موقفه عجيبًا للغاية ، فى تلك اللحظة العصيبة !

فعلى الرغم مما يعانيه (محمـــود) ، عضـو فريقـه ، ورفيق عمره ، من عذاب غير محدود ، ومما يواجهه من نهاية بشعة ، ظل (نور) جامدًا وهادئًا !!

وربما أكثر مما ينبغى !

فلسبب ما ، كان يراقب الأحداث كلها ، وكأنه ليس جزءًا منها ..

أو كأنها مجرد صور متحركة ، على شاشة وهمية ..

أمـا ذلك العملاق الوهمى ، فقد أطلـق زمجـرة أخـرى مخيفة ، تحمل كل الوحشية والظفر ، وهو يقول :

(*) راجع قصة (التعايين) ... المغامرة رقم (١٠١) .

ـ أرأيت أيها الخصم بلا جسد ؟! مـع كل مـا تـآزروا بـه من أجلك ، ستفقد كل ما تبقى لك .. طاقتك الصافية .. هنـا ، فى موقفى وبين أسوارى ، ستلقى نهايتك الحتمية .. النهاية التى كان ينبغى أن تبلغها هناك ، فى نهر الزمن[*] .

وعض (أكرم) شفتيه فى مرارة ..

إنها النهاية ..

النهاية لا ريب ..

وها هو ذا ، يشاهدها فى وضع ذليل مهين ، وهـو معلق من قدميه إلى سقف القاعـة ، ومقيد المعصمين خلـف ظهره ، كذبيحة تنتظر من يلتهمها بلا رحمة ..

فيا للهوان !

ويا للعار !

كم تمنى لحظتها لو أنه يستطيع أن يحيط مقبض مسدسه بأصابعه ، ولو لمرة واحدة أخيرة ..

مرة يطلق فيها رصاصاته ..

كل رصـاصـاته ، على ذلك المخ البشع ؛ لينسفه نسفًا ، كما فعل من قبل ..

(*) راجع قصة (الزمن = صفر) ... المغامرة رقم (١٠٠) .

ويا ليته يومها لم يكتف برؤيته يسقط فحسب ..

ليته أفرغ كل رصاصات مسدسه ، في ذلك الرأس المزدوج ، الذي حمل الدمار والعذاب ، لكل من أحب ..

والذي تسبب فيما أصاب زوجته ..

حبيبته وزوجته (مشيرة) ، التي لم يكد يتذكرها ، ويتذكر ما أصابها ، مما أخبره به ذلك الوغد ، حتى تفجر بركان من الغضب في عروقه ، وصرخ مرة أخرى :

ـ أيها الوغد الحقير ..

ومع صرخته ، شعر بقوة هائلة ، تتدفق في خلاياه ، وبعضلاته كلها تنتفخ ، على نحو لم يعهده في نفسه أبدًا ، وتصاعدت آلام رهيبة في معصميه ، و ...

وفجأة ، تمزقت قيوده ..

وتحررت ذراعاه ..

وبكل دهشته وانفعاله ، صرخ :

ـ لقد فعلتها .. فعلتها يا (نور) .

أطلق العملاق الوهمي زمجرة غاضبة أخرى ، مع صرخة (أكرم) ، الذي شعر بأوصاله كلها تتجمد ، على نحو عجيب ،

أدرك على الفور أنه من تأثير القوة العقلية الفائقة ، لذلك المخ المزدوج هائل الحجم ..

لقد تجمدت عضلاته ، وأطرافه ..

وحتى أصابعه ..

تجمدت ، وسرت فيها برودة رهيبة ، جعلته يصرخ :

ـ لا .. ليس ثانية .

وعلى الرغم من كل هذا ، ظل (نور) جامدًا ، ثابت النظرات ، كما لو أنه قد تحول فجأة إلى تمثال من الرخام ..

تمثال بلا حياة ..

أو بلا عقل ..

ومع كل هذا ، واصلت صورة (محمود) تلاشيها على نحو سريع مخيف ..

نحو جعل من الواضح أن الصراع قد بلغ مرحلة الذروة ..

الذروة المطلقة ..

والقاتلة ..

* * *

« استعدوا لتنفيذ الخطة (خطر - ٣) .. »

تردد النداء ، عبر كل أجهزة الاتصال الخاصة ، في قيادات أفرع الجيش المختلفة ، فسرى توتر في كل الأجساد ، وارتسم قلق عارم ، في الملامح والوجوه ، وغمغم أركان حرب وزير الدفاع في عصبية ، لم يستطع كبحها أو منعها :

- مازلت أرى أنه لا ضرورة إطلاقًا ، لبدء خطة رهيبة كهذه يا سيادة الوزير .

لم يسمع جوابًا من الوزير ، فتابع في عصبية أكثر :

- إطلاقنا (خطر - ٣) ، يعني إشعال نيران حرب عالمية طاحنة ، ووفقًا لما أعلنته أجهزة كمبيوترات التماثل الفائقة ، فالحرب لن تستغرق سوى ساعات معدودة ، مع أسلحة الدمار الرهيبة ، في هذا العصر ، وخلال هذه الساعات ، سيتم تدمير عواصم الاتحاد الأوروبي بالكامل ، ونصف مساحة (الصين) ، وأكثر من ثلاثين ولاية ، في (أمريكا) وحدها ، وسبع دول على الأقل ، في منطقة الشرق الأوسط ، وهذا مجرد البداية ، قبل أن تبدأ سلسلة من الحروب البرية ، و ...

انتبه فجأة ، إلى أنه لا يتلقى أية تعليقات أو تعقيبات من الوزير ، فالتفت إليه ، قائلاً :

- سيدي الوزير .. إنك لم ...

بتر عبارته بغتة ، وهو يحدق ذاهلاً في الموقع ، الذي كان يحتله الوزير منذ لحظات ، قبل أن يدير عينيه في حجرة القيادة كلها ، ثم يهتف بكل دهشة الدنيا :

- سيادة الوزير ؟!

لم يكن هناك مكان واحد ، يمكن أن يغادر الوزير عبره الحجرة ، دون أن يلمحه وهو يفعل ..

وعلى الرغم من هذا ، فقد اختفى ..

اختفى تمامًا ..

ودون أدنى أثر ..

وعلى الرغم من تعارض الأمر مع كل منطق أو عقل ، اندفع أركان الحرب خارج حجرة القيادة ، وهتف بالحارس الواقف أمامها في توتر :

- هل شاهدت سيادة وزير الدفاع ؟!

حمل وجه الحارس كل دهشة الدنيا ، وهو يجيب :

- سيادة الوزير في الداخل يا سيدي .

اتسعت عينا أركان الحرب لحظة ، ثم استعاد تماسكه في سرعة ، وهو يقول في حزم :

- بالطبع .. إنه اختبار يقظة يا رجل ..

وعاد إلى حجرة القيادة فى سرعة ، متجنبًا المزيد من دهشة الحارس وحيرته ، وعاد يدير عينيه فى الحجرة الخالية ، مغمغمًا :

- نعم .. إنه اختبار يقظة ..

اتجه فى صمت نحو مقعد وثير ، وترك جسده يسترخى فوقه بعض الوقت ، وهو يفكر فى عمق ..

فالأمور كلها تسير على وتيرة غريبة ، منذ بدأ التفكير فى إطلاق (خطر - ٣) ، بكل تبعاتها الرهيبة المعروفة ..

فدون سبب منطقى ، أصدر الرئيس قراره بتنفيذها ، وأيده وزير الدفاع ، و ...

رئيس الجمهورية !!

توقف تفكيره عند اللقب ، وراح عقله يعيد التفكير مرة ..

وثانية ..

وثالثة ..

ثم هبَّ من مقعده بحركة حادة ، والتقط سماعة الهاتف الخاص ، الذى يتصل بمؤسسة الرياسة مباشرة ، وهو يغمغم :

- هناك وسيلة واحدة للتأكُّد .

تم الاتصال مباشرة ، مع رفع سماعة الهاتف ، وسمع أركان الحرب صوت مدير مكتب الرئيس ، على الجانب الآخر ، وهو يقول :

- مرحبًا سيادة وزير الدفاع .

أجابه أركان الحرب فى حزم :

- لست وزير الدفاع يا رجل .. أنا أركان حربه .. أريد التحدث إلى الرئيس مباشرة ؛ لأمر بالغ الأهمية .

بدا صوت مدير المكتب شديد التوتر والاضطراب ، وهو يجيب :

- أخشى أن هذا قد لايكون ممكنًا ، فى الوقت الحالى .

سأله أركان الحرب فى اهتمام :

- حتى لو كان الأمر غاية من الأهمية ؟!

صمت مدير المكتب بضع لحظات ، قبل أن يجيب ، بنفس الصوت ، المتوتر المضطرب :

- المشكلة أن الرئيس ليس هنا .

وانخفض صوته ، مع مزيد من التوتر ، وهو يضيف :

- ليس فى أى مكان يمكن تحديده .

كانت أصابع أركان الحرب تعتصر سماعة الهاتف ، وهو يقول في انفعال جارف :

ـ دعني أستنتج ما حدث يا رجل .. لقد كان الرئيس هناك ، ثم فجأة ، لم يعد هناك .. أليس كذلك ؟!

خُيّل إليه أن صوت الرجل قد شحب بشدة ، وهو يغمغم :

ـ كيف .. كيف أمكنك أن ...

لم يستطع إكمال كلماته ، من فرط التوتر والاضطراب ، ولكن أركان الحرب اعتدل ، قائلاً في حزم :

ـ في لحظة ما ، بدا لي هذا تداعيًا طبيعيًا يا رجل .

هتف مدير المكتب ، وقد انضم ذعره إلى توتره واضطرابه :

ـ تداع طبيعي لماذا ؟!

ولكنه لم يتلق جوابًا من أركان الحرب ، الذي أنهى الاتصال ، فور انتهاء عبارته ، واستدار إلى الشاشات ، التي تعلن بدء تنفيذ خطة الهجوم الشامل (خطر ـ ٣) ، بعد خمس عشرة دقيقة وتسع ثوان فحسب ، وهو يغمغم في انفعال :

ـ كان ينبغي أن أتوقع هذا .

وبسرعة تليق بعقلية عسكرية متطورة ، وحسم يتناسب مع دراسته الحربية الخاصة ، اتجه أركان الحرب نحو لوحة الأزرار الرئيسية ، وضغط زرًا أزرق ، قائلاً في صرامة :

ـ إلغاء .. يتم إيقاف الخطة (خطر ـ ٣) فورًا .

أتاه صوت الكمبيوتر الآلي ، وهو يجيب :

ـ إلغاء أو إيقاف الخطة ، يحتاج إلى صوت الرئيس ، أو وزير الدفاع شخصيًا .

وانعقد حاجبا أركان الحرب في شدة ، وقشعريرة باردة تسري في كل أوصاله ..

فوفقًا لبرنامج الكمبيوتر ، ولغياب الرئيس ووزير دفاعه ، أصبح من الواضح أنه لم تعد هناك وسيلة واحدة لإيقاف تنفيذ الخطة (خطر ـ ٣) ..

خطة التدمير العالمي ..

الشامل ..

* * *

على الرغم من أن عيني (نور) كانتا تريان كل ما يحدث ، في القاعة الرئيسية لمركز الأبحاث العسكرية ، إلا أن عقله كان منفصلاً تماماً ..

منفصل عن الزمان .

والمكان أيضاً ..

فبوسيلة ما ، كانت هناك ملك العقول ، التي تنطلق بطاقة هائلة ، في كل خلية من خلايا مخه ..

تنطلق ؛ لتنشيط طاقاته الكامنة ..

كل طاقاته ..

بلا استثناء ..

آلاف المعلومات والمعادلات ، راحت تتدفق في عقله ، كشلال لا ينقطع أبداً ..

آلاف وآلاف من الأرقام ..

والصور ..

والبيانات ..

والإحصاءات ..

قوة رهيبة راحت تشحن عقله ..

وجسده ..

وكيانه كله ..

وفي لحظة واحدة ، استعاد تفاصيل حياته كلها ..

مولده ..

نشأته ..

والتحاقه ..

للتحاقه بالمخابرات العلمية ..

عمليته الأولى ..

للفريق ..

مغامراتهم ..

زواجه ..

ابنته ..

لقاءه بـ (أكرم)(*) ..

و (طارق)(**) ..

(*) راجع قصة (رمز القوة) ... المغامرة رقم (٨٦) .

(**) راجع قصة (العدو الخارق) ... المغامرة رقم (١١٥) .

ومعركته الأخيرة مع شيطان العقول ..

كل العقول ..

كل هذا استعاده، واستوعبه، وتذكَّره كاملاً، وبكل تفاصيله ..

وفي لحظة واحدة ..

ثم التقطت خلايا عقله الرمادية صرخة العملاق الوهمي الظافرة، وهو يهتف بكل وحشيته :

- الآن ستذهب إلى جحيم حقيقي، أيها الخصم بلا جسد .

كان من الواضح أنه قد استنفر كل قوته وطاقاته؛ للانتصار في هذه المعركة الحاسمة ..

لمواجهة اتحاد عقول رهبان (التبت) ..

وطاقات عقل (محمود) ..

استنفرها حتى لم يعد متبقيًا له سوى ما يكفيه للحفاظ على كيانه المزدوج، داخل ذلك الوعاء الزجاجي السميك فحسب ..

ربما لهذا لم يعد باستطاعته خلق الوهم من حوله ..

أو تجسيده ..

بل إن صورته الوهمية نفسها بدأت تخفت ..

وتذوى ..

وتتلاشى ..

أما صورة (محمود)، فقد أصبحت أشبه بسحابة مشتتة، بلا تفاصيل أو ملامح، أو ...

وفجأة، دوى ذلك الانفجار ..

المدفع فوق الصوتي، نسف أسوار مركز الأبحاث الخلفية، في عنف شديد ..

ولوهلة، تصوَّر (أكرم) أن ذلك الانفجار، سيشتت طاقة ذلك المخ الوحشي، فيتوقف عن تجميد أوصاله ..

أو عن تشتيت طاقة (محمود) ..

إلا أن هذا لم يحدث ..

كل ما فعله ذلك العملاق الوهمي، هو أن أطلق في عقولهم زمجرة وحشية أخرى، قبل أن ينطلق بغضب أكثر ..

وشراسة أكبر ..

وبنفس الجمود العجيب ، تطلّع إليه (نور) ، وعقله يكاد يبلغ ذروة الشحن والطاقة ، و ...

« الآن .. » ..

نطقتها (سلوى) من موقعها ، وهى تضغط زر إطلاق مدفع الموجات فوق الصوتية ، محملاً ببرنامج الموجات المضادة هذه المرة ..

ولم يكن هناك دوى أو انفجارات ، فى هذه المرة ..

فقط موجة فوق صوتية هائلة ، انطلقت نحو مركز الأبحاث العسكرية ، وتجاوزت حوائطه وجدرانه ، و ...

وبلغت قاعة تجاربه الرئيسية ..

وبمنتهى العنف ، اهتز عقل (نور) ..

وارتج مخه داخل جمجمته ..

أما ذلك العملاق الوهمى ، فقد تلاشى تماماً دفعة واحدة ..

تلاشى لحظة واحدة ، قبل أن تعود صورته الوهمية قوية واضحة ، وهو يطلق زمجرة غاضبة ، ثم ينطلق ..

وفى لحظة انطلاقه ، سجّلت الشاشات كلها منحنيات بالغة القوة ..

منحنيات معكوسة ..

وفى موقعهم ، هتف الدكتور (جلال) ، بكل توتر الدنيا :

ـ هل أوقفه هذا ؟!

صاحت به (سلوى) :

ـ لست أدرى .. لاتوجد وسيلة واحدة لمعرفة ذلك على وجه الدقة .

صاح فى ارتياع :

ـ رباه .. أطلقى المدفع مرة ثانية إذن .. أسرعى بالله عليك يا (سلوى) ..

قفزت أصابعها نحو أزرار الكمبيوتر ، قبل حتى أن يكتمل هتافه ؛ لتطلق طلقة أخرى ، من الموجات فوق الصوتية ، المحملة بتلك الموجة المضادة فائقة القصر ، و ...

وفجأة ، تحطم الكمبيوتر كله فى عنف ..

ثم ظهر ذلك العملاق الوهمى أمامهم ..

ظهر ضخماً ..

هائلاً ..

وغاضباً ..

وانطلقت من حلق (سلوى) شهقة مذعورة ، فى حين تراجع الدكتور (جلال) بكل رعب الدنيا ..

وانقض العملاق ..

وبمنتهى العنف .

* * *



٧ ـ المعركة الفاصلة ..

داخل تلك الكبسولة المنيعة ، المجهزة لحجب كل صور الطاقة ، والتى تحملها مركبة فضائية شديدة التطور ، إلى غياهب الكون الفسيح ، رقد جسم (س ـ ١٨) جامداً ، ساكناً ، وكأنما لم يتبق منه سوى غلاف خارجى ، من معدن غير معروف ، وغير قابل للاختراق ..

ولكن (نور) كان على حق بشأنه تماماً ..

فالعمالقة الذين صنعوا (س ـ ١٨) ، منذ زمن أطول من أن يسجله التاريخ ، وزودوه بكل أسلحته ، وبرامجه التى تفوق أقوى البرامج ، التى ابتكرتها العقول الأرضية ، أضافوا إليه برنامج حماية خاصة ، يمنعه من استنفاد طاقته ، حتى آخر دفقة منها ..

ففى اللحظة ، التى يبلغ فيها منسوب الطاقة حد الخطر ، يوقف (س ـ ١٨) أجهزته كلها ، ويحتفظ فى بطارياته الخاصة بكم من الطاقة ، يبقيه فى حالة وعى ساكنة جامدة ..

حتة تكفى لأن تتأهب أجهزته وتتحفز ، عند ظهور أى مصدر للطاقة من حوله ..

وداخل تلك الكبسولة ، كان (س ـ ١٨) معزولاً تمامًا ، عن كل مصادر الطاقة الخارجية ..

وليس الداخلية ..

فالأجهزة الإليكترونية الرقمية ، التي تحيط به ، وتعمل على رصده طوال الوقت ، وقياس أية انبعاثات خاصة من جسمه الآلي ، كانت تحوي بعض الطاقة ..

طاقة تعد ضئيلة للغاية ، بالنسبة إلى ما اعتاده ..

إلا أنها تمثل مصدرًا احتياطيًا قريبًا ..

وفي موقعه ، ودون أن تصدر عنه أية حركة ، توحي بعودته إلى العمل ، راحت أجهزته تحلل موقفه ، وتدرس كم الطاقة المحيط به ..

كان هناك ما يكفي كحد أدنى ..

أقل حد أدنى ممكن ..

وفي ظروف كهذه ، تطلقه بعيدًا عن الكوكب ، الذي يضم سيده (تور) والذي قطع ملايين الكيلومترات في الفضاء ليصل إليه ، كان هذا الحد الأدنى كافيًا .. على الأقل لمنع الابتعاد عن الأرض أكثر وأكثر ..

لذا فقد بدأت أجهزة (س ـ ١٨) في العمل بغتة ..

وفي نفس اللحظة ، التي سجلت فيه الأجهزة المحيطة به ، عودته إلى العمل ، انطلقت أجهزته هو تمتص كل طاقاتها ..

وحتى آخر قطرة ..

ومع توقف الأجهزة كلها عن العمل ، اعتدل جسم (س ـ ١٨) ..

ثم انطلق ..

انطلق فجأة ، محطمًا جدران الكبسولة من حوله ، ومنطلقًا إلى الفضاء الخارجي ..

وكان هذا يستهلك كل الطاقة ، التي امتصها من الأجهزة المحيطة به ..

كلها تقريبًا ..

وهذا يعني أن عليه أن يتزود بأكبر قدر من الطاقة ..

وفي أسرع وقت ممكن ..

ولادخار ما تبقى له من طاقة ، ترك (س ـ ١٨) جسده كله يتوقف ، ويسبح في الفضاء ، بالقرب من القمر ، وأطلق أجهزته ، لترصد أي مصدر قريب للطاقة ..

وداخل تلك الكبسولة ، كان (س ـ ١٨) معزولاً تمامًا ، عن كل مصادر الطاقة الخارجية ..

وليس الداخلية ..

فالأجهزة الإليكترونية الرقمية ، التى تحيط به ، وتعمل على رصده طوال الوقت ، وقياس أية انبعاثات خاصة من جسمه الآلى ، كانت تحوى بعض الطاقة ..

طاقة تعد ضئيلة للغاية ، بالنسبة إلى ما اعتاده ..

إلا أنها تمثل مصدرًا احتياطيًا قريبًا ..

وفى موقعه ، ودون أن تصدر عنه أية حركة ، توحى بعودته إلى العمل ، راحت أجهزته تحلل موقفه ، وتدرس كم الطاقة المحيط به ..

كان هناك ما يكفى كحد أدنى ..

أقل حد أدنى ممكن ..

وفى ظروف كهذه ، تطلقه بعيدًا عن الكوكب ، الذى يضم سيده (نور) والذى قطع ملايين الكيلومترات فى الفضاء ليصل إليه ، كان هذا الحد الأدنى كافيًا .. على الأقل لمنع الابتعاد عن الأرض أكثر وأكثر ..

لذا فقد بدأت أجهزة (س ـ ١٨) فى العمل بغتة ..

وفى نفس اللحظة ، التى سجلت فيه الأجهزة المحيطة به ، عودته إلى العمل ، انطلقت أجهزته هو تمتص كل طاقتها ..

وحتى آخر قطرة ..

ومع توقف الأجهزة كلها عن العمل ، اعتدل جسم (س ـ ١٨) ..

ثم انطلق ..

انطلق فجأة ، محطمًا جدران الكبسولة من حوله ، ومنطلقًا إلى الفضاء الخارجى ..

وكان هذا يستهلك كل الطاقة ، التى امتصها من الأجهزة المحيطة به ..

كلها تقريبًا ..

وهذا يعنى أن عليه أن يتزود بأكبر قدر من الطاقة ..

وفى أسرع وقت ممكن ..

ولادخار ما تبقى له من طاقة ، ترك (س ـ ١٨) جسده كله يتوقف ، ويسبح فى الفضاء ، بالقرب من القمر ، وأطلق أجهزته ، لترصد أى مصدر قريب للطاقة ..

الطاقة التي لو لم يحصل عليها ، في الوقت المناسب ، فربما يعود إلى الأرض فلا يجد فيها سيّده (نور) ..

أو أي بشرى آخر ..

أي بشرى ..

على الإطلاق ..

* * *

في نفس اللحظة ، التي انطلق فيها ذلك العملاق الوهمي ، حاملاً كل طاقات المخ المزدوج الجبار ، خارج مركز الأبحاث العسكرية ، تحرّرت أطراف (أكرم) ، وفقدت جمودها وبرودتها دفعة واحدة ، فهتف في لهفة :

ـ أخيراً ..

كان يشعر بخدر شديد في ساقيه ، وباحتقان مؤلم في رأسه وعينيه ، من جراء ذلك الوضع المقلوب ، إلا أنه كان يدرك أن ذلك الوحش الوهمي قد يعود في أية لحظة ، بكل شراسته وقوته ، وتأثيراته الرهيبة ، لذا فقد استنفر كل قوته ، ومال بوسطه إلى أعلى ، لتمتد يداه إلى قيود ساقيه ، في محاولة للتحرّر ..

أما صورة (محمود) ، فقد عادت تتشكّل على نحو ما ، وسمعه (نور) يقول في أعماقه :

ـ إنه أقوى مما تصوّرت بكثير يا (نور) .

لم يجب (نور) بحرف واحد ، وهو ثابت جامد في موضعه ، فتابع (محمود) عبر عقله وحده :

ـ إنه سيعود في أية لحظة ، ويدرك أن كل ما حدث لم يكن هو الخطة الأصلية .

أدار (نور) عينيه إليه ، دون أن يجيب ، فاستطرد (محمود) في حزم :

ـ فالخطة الأصلية كانت أنت .. عقلك أنت يا (نور) .

مع قوله ، اندفعت صورته الوهمية بقوة نحو جسد (نور) ..

واخترقته ..

وغاصت في أعماق عقله ..

في أعمق أعماقه ..

وامتزجت العقول ..

كل العقول ..

عقول ملك من رهبان (التبت) ..

وطاقة (محمود) ..

وعقل (نور) ..

عقله ، الذى تدفّقت فيه طاقة هائلة ..

ثم انطلق ..

وفى لحظة واحدة ، ودون أن يتحرك من مكانه ، رصد عشرات الأحداث ، التى ترتبط بموقفه ..

رصد استعدادات إطلاق الخطة (خطر - ٣) ..

والعد التنازلى ، الذى يشير إلى دقائق سبع ، قبل لحظة الصفر ..

ورصد موقع (س - ١٨) ..

ومحاولته البحث عن مصدر للطاقة ..

ثم تلك البقعة ، وسط الأطلال القديمة ..

البقعة التى انقض فيها ذلك العملاق الوهمى ، على (سلوى) ، والدكتور (جلال) ، والطاقم المصاحب لهما ..

كانت بقعة تفيض بالوحشية ..

والدم ..

والعذاب ..

فالعملاق الوهمى انتزع أحد أفراد الطاقم ، وطوّح به بعيدًا ، ليتحطّم جسده على جدار الأطلال ..

وانطلق الرجلان المتبقيان للفرار ، ولكنه ظهر أمامهما بغتة ، وانطلقت أصابع راحتيه ، لتخترق صدريهما ، وتنفجر منهما الدماء ، فى مشهد رهيب ..

وبكل رعبه وانفعاله ، وثب الدكتور (جلال) ، إلى مقعد السيارة ، وهو يصرخ :

- كنت أعلم أن هذا سيحدث .. كنت أعلم أن الكابوس سيصبح واقعًا .

لم يحاول حتى انتظار (سلوى) ، التى تجمّدت أطرافها فى رعب ، وإنما انطلق بالسيارة محاولاً الفرار ، إلا أن العملاق الوهمى انتزع مدفع الموجات فوق الصوتية ، وألقى به فى قوة ، ليهوى ساحقًا السيارة وراكبها معًا .

واحتبست صرخة رعب ، فى حلق (سلوى) ..

واتسعت عيناها عن آخرهما ..

واستدار إليها العملاق الرهيب ، و ...

« لا .. » ..

انطلقت صرخة (نور) قوية مجلجلة ، وهو يحطم قيوده بقوة مدهشة ، تفوق قوته الطبيعية عشر مرات على الأقل ، ثم ينهض واقفًا في حزم ، وهو يضيف ، بكل صرامة وغضب الدنيا :

ـ ليس (سلوى) .

قالها ، واتجه في حزم نحو أجهزة الكمبيوتر ، التي تمد ذلك المخ المزدوج الضخم بكل ما يلزمه ؛ ليستمر ويحيا ..

وبكل حماسه ، صاح به (أكرم) ، وهو يواصل حل قيود كاحليه :

ـ حطمها يا (نور) .. حطمها كلها .

وقبل حتى أن تكتمل صيحته ، اختفى ذلك العملاق الوهمي ، من أمام (سلوى) ، وعاد يظهر داخل قاعة التجارب الرئيسية ، قائلاً في غضب :

ـ هل تتصور أنه بإمكانك أن تفعلها ؟!

استدار إليه (نور) بحركة حادة ، ورمقه بنظرة كنيران الجحيم ، دون أن ينبس ببنت شفة ، ودون أن يتوقف ..

لقد واصل طريقه نحو أجهزة الكمبيوتر الرئيسية ، وهو يلتقط أحد المقاعد الثقيلة ..

وصرخ العملاق الوهمي ..

أطلق صرخة هائلة ، ارتج لها عقلا (نور) و (أكرم) ، قبل أن يشعر الأول بطاقة هائلة ، ترتطم بظهره ، وتنتزعه من مكانه ، وتلقي به ثلاثة أمتار كاملة ، نحو الجدار البعيد عن الأجهزة ..

وعلى الرغم من قوة وعنف الضربة ، سقط (نور) أرضًا ، ثم عاد يقف على قدميه في سرعة ، وهو يقول ، بكل صرامة الدنيا :

ـ لقد كنت على حق أيها الوغد .. كلانا تكمن قوته في عقله .

مع قوله ، فوجئ (أكرم) بصورة العملاق الوهمي تهتز في عنف ، قبل أن تعاود تماسكها ، وهو يزمجر ، هاتفًا في وحشية :

ـ إذن فقد ضمُّوك إلى تحالفهم .

أجابه (نور) في قوة وصرامة :

- بل أصبحت الممثل الرسمي لاتحاد عقولهم وطاقاتهم أيها الوغد ..

ثم استدار إلى أجهزة الكمبيوتر ، مضيفًا في حزم :

- وهذا يعني أنني لم أعد بحاجة إلى المقعد .

مع استدارته ، تحطمت شاشات أجهزة الكمبيوتر في عنف ، فصرخ العملاق الوهمي صرخة غاضبة أخرى ، اقتلعت (نور) من مكانه مرة ثانية ، ودفعته عبر القاعة كلها ، ليرتطم بالجدار الآخر ، بمنتهى العنف والقوة ..

وعندما سقط أرضًا هذه المرة ، انطلقت كل الأجهزة والمقاعد الثقيلة نحوه ، بطاقة ذلك المخ المزدوج ، وراحت ترتطم به في عنف ..

كان ارتطامها يكفي لإفقاده الوعي ، في الظروف العادية ..

ولكن ليس في حالته هذه ..

ليس عندما يحمل عقله طاقة كل هذه العقول ..

وعلى الرغم من إصابات جسده العديدة ، نهض (نور) واقفًا على قدميه ، وهو يقول :

- إنه صراع عقول ، كما كنت تقول يا هذا .

زمجر العملاق ، هاتفًا :

- لكل عقل طاقاته وإمكانياته أيها المقدم .

أطلق (أكرم) صرخة ظافرة هذه المرة ، عندما انحلت قيود ساقيه ، وهوى جسده من أعلى ..

هوى ليرتطم بذلك الوعاء الزجاجي الكبير ، الذي يحوي ذلك المخ المزدوج الضخم ..

ومع ارتطامه بالزجاج السميك ، ترك (أكرم) جسده ينزلق إلى الأرض ، وهو يهتف في حماس :

- لقد تحررنا يا (نور) .

مع هتافه ، أطلق العملاق الوهمي زمجرة أخرى ، شعر معها (أكرم) وكأنه قد تلقى لطمة هائلة ، انتزعته من مكانه ، ودفعته إلى أعلى مرة أخرى ، ليرتطم بالسقف بمنتهى العنف ، ثم يسقط مرتطمًا مرة أخرى بالأرضية الرخامية ..

ومع سقوطه ، انقض (نور) مرة أخرى ..

اندفع نحو ذلك الوعاء الزجاجي الكبير ، ووثب وثبة مدهشة ، تفوق ما كان من الممكن أن يبلغه قديمًا ، ليصل إلى قمته ، ثم يثب منه وثبة أكثر قوة ، نحو أجهزة الكمبيوتر ..

وانطلقت صرخة أخرى من العملاق ..

وانطلقت معها طاقة هائلة ، ارتطمت بجسد (نور) ، ودفعته مرة أخرى بعيدًا عن الأجهزة ..

وعلى الرغم من عنف الارتطام وقوته ، ومن اندفاع جسده فى الهواء ، صرخ (نور) :

ـ الأسلاك .. الأسلاك يا (أكرم) .

قالها ، ثم استخدم كل قواه العقلية ، الناشئة عن اتحاد مئات العقول ؛ ليدفع مائدة ثقيلة ، نحو أجهزة الكمبيوتر ..

وبرد فعل مدهش ، وعلى الرغم من آلامه ، وثب (أكرم) نحو الأسلاك ، وقبض عليها فى قوة ..

وصرخ العملاق مرة جديدة ..

وانطلقت مع صرخته دفقتان من طاقة هائلة ..

دفقة أطاحت بتلك المائدة الثقيلة ، قبل أن تبلغ أجهزة الكمبيوتر الرئيسية ..

والثانية أطاحت بـ (أكرم) ..

ولكن (أكرم) كان يتشبث بالأسلاك ..

وبكل قوته ..

لذا ، فقد جذبها معه ..

وبمنتهى القوة أيضًا ..

ومع شرارة عنيفة ، تمزقت الأسلاك ، التى تربط أجهزة الكمبيوتر الرئيسية بوعاء المخ المزدوج الرهيب ..

تمزقت فى قوة ، لتقطع الاتصال تمامًا ، بين المخ ، وكل أجهزة الكمبيوتر ..

وبكل غضب الدنيا ، صرخ العملاق الوهمى :

ـ ستدفع ثمن كل هذا .

راح (أكرم) يحاول النهوض فى صعوبة ، فى حين قال (نور) فى صرامة :

ـ أى ثمن أيها الحقير .. لقد انقطعت صلاتك بكل سبل الإعاشة الآن .

ثم شد قامته ، وخرج من بين شفتيه صوت عميق قوى ، لا يشبه صوته أبدًا ، وهو يضيف ، فى صرامة أكثر :

ـ لقد خسرت معركتك .

وهتف (أكرم) فى ظفر ، وهو ينهض واقفًا على قدميه :

ـ خسرتها بجدارة .

ظلت صورة العملاق الوهمى قوية واضحة ، وهو يقول بكل السخرية :

- خسرت ؟! أهذا ما تصورته ؟! خطأ أيها المتحذلقين .. لقد ربحت معركتى بالفعل .. ربحتها تمامًا .

انعقد حاجبا (أكرم) ، فى محاولة لفهم ما يعنيه ذلك العملاق الوهمى بقوله هذا ، فى حين شد (نور) قامته أكثر ، وهو يستمع إليه يتابع :

- الأسلاك التى قطعتماها تلغى برنامج ذاكرة (ميجا) فحسب ، ولم أعد بحاجة إليها فى الواقع .. كل شىء أصبح مخزونًا داخلى بالفعل .. أما أجهزة الإعاشة والاستمرار ، فتتصل بى ، عبر كابلات خاصة تحت أرضيته .

سرت ارتجافة فى جسد (أكرم) ، وبدا (نور) شديد الصرامة ، والعملاق الوهمى يضيف فى شماتة :

- سأبقى أيها المتحذلقين .. سأبقى بعد أن تذهبا .. وبعد أن يبدأ تنفيذ الخطة (خطر - ٣) ، بعد دقيقتين وست ثوان فحسب .

ثم أطلق ضحكة عالية ، ساخرة ، شامتة ، ظافرة ، قبل أن يقول فى وحشية متشفية :

- والآن .. من ربح المعركة ؟!

انطلقت ضحكته فى عقليهما مرة أخرى ، على نحو يوحى بأنه قد ربح معركته بالفعل ، فامتقع وجه (أكرم) فى شدة ، فى حين انعقد حاجبا (نور) فى صرامة ، وعقله ينطلق بكل طاقاته الجديدة ..

فمع هذا التطور الجديد ، كان السؤال مطروحًا بحق ..

من المنتصر حقًّا فى هذه المعركة ؟!

المعركة الفاصلة ، فى قتال العقول ..

وفى مستقبل الأرض ..

لو تبقى لها مستقبل !

* * *

سجن القمر(*) ..

هذا هو المكان ، الذى رصدت فيه أجهزة (س - ١٨) مصدرًا للطاقة ..

البطاريات القديمة ، التى كانت تمد السجن كله بالطاقة ، قبل أن يتم إغلاقه إلى الأبد ، إثر أحداث عنيفة قديمة ..

ودون أن يضيع لحظة واحدة ، استخدم (س - ١٨) آخر ما تبقى له من طاقة ، لينطلق نحو القمر ..

(*) راجع قصة (سجن القمر) .. المغامرة رقم (٤٨) .

ونحو سجن القمر ..

وهناك ، وبآخر دفقة لديه من الطاقـة ، أوصل بطارياته بتلك البطاريات النووية ، و ...

وراح يمتص الطاقة ..

محيط من الطاقة النووية الصافية ، تدفق إلى أجهزته ..

وبرامجه ..

وأسلحته ..

طاقة تكفي لإنارة مدينـة كبيرة ، استوعبتها بطارياتـه الفائقة ، في يسر وسهولة ..

وانطلقت أجهزته كلها تعمل ..

بمنتهى القوة ..

ومنتهى الكفاءة ..

وعندما اطمأن إلى أنه قد استنزف طاقة بطاريـات سجن القمر كلها ، عاد (س ـ ١٨) ينطلق ..

نحو الأرض ..

مباشرة ..

* * *

« هيا .. اعترف أنك قد خسرت أيها المقاتل .. » ..

نطقها العملاق الوهمي ، في سخرية ظافرة شامتة ، وصورته تبدو بنفس قوتها ووضوحها ، على نحو يوحي بأنـه لم يخسر شيئاً من طاقته وقوته ، وعلى الرغم من توقف أجهزة الكمبيوتر المختلفة ، فما زال تزويده بسيل الحياة ، عبر ذلك السائل الحيوي ، الذي يحيط بالمخ المزدوج مستمراً ..

ولم يجب (نور) ..

فقط أغمض عينيه في قوة ، وترك عقله ينطلق ..

وينطلق ..

وينطلق ..

أما (أكرم) ، فقد شمله غضب هائل ، جعله يلتقط أحد المقاعد الثقيلة ، ويطلق صرخة قوية ، وهو يندفع بـه نحو الوعاء الزجاجي للمخ الضخم ..

واستدار إليه العملاق الوهمي ..

وانطلقت تلك الطاقة الوحشية الرهيبة ..

انطلقت تقتلع (أكرم) ومقعده ، وتطيح بهما بعيداً بقوة ..

بل بمنتهى العنف ..

ولم يشعر (أكرم) فى حياته كلها بالألم ، مثلما شعر به ، مع ذلك العنف الرهيب ، الذى ارتطم به جسده فى الجدار ..

وبنفس العنف ، سقط (أكرم) أرضًا ، وارتطم به ذلك المقعد الثقيل الكبير ..

وتضاعفت الآلام أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

وفى نفس اللحظة ، التى أشارت فيها شاشات العد التنازلى ، إلى تبقى دقيقة وعشرين ثانية فحسب ، قبل إطلاق الخطة (خطر ـ ٣) ، نهض (أكرم) فى صعوبة ، بجرح كبير فى جبهته ، وهو يقول فى غضب :

ـ أيها الحقير .. لو أن مسدسى معى الآن ، لعلمتك كيف يكون القتال الحقيقى .

انطلقت زمجرة العملاق الوهمى باللغة الوحشية هذه المرة ، فى أعمق أعماق عقله ، قبل أن يسمعه يقول ، بمنتهى الغضب والشراسة :

ـ آه .. بمناسبة الحديث عن مسدسك ، هناك ثأر خاص ينبغى أن أحظى به ، قبل أن يفوت الوقت .

وازداد صوته وحشية وشراسة ، وهو يتجه نحو (أكرم) مباشرة ، مستطردًا :

ـ وقبل أن تفنى جميعًا مع الأرض كلها .

ولأول مرة ، فى حياته كلها تقريبًا ، شعر (أكرم) بكل هذا الخوف ، وهو يتراجع أمام ذلك العملاق الوهمى الرهيب ، الذى توقف على مسافة متر واحد منه ، ثم انحنى نحوه ، بوجهه الضخم ، الخالى من الملامح ، وهو يقول بنفس الوحشية الشرسة :

ـ قل لى يا عضو الفريق الهمجى : فى أى ركن من أركان القاعة ، تحب أن ترى قلبك ، قبل أن تلقى مصرعك ..

انتفض (أكرم) مع قوله ، وتراجع أكثر وأكثر ، حتى التصق بالجدار ، فأطلق العملاق ضحكة وحشية أخرى ، ودفع يده الضخمة نحو صدره ، مضيفًا :

ـ حتى مع كل الطاقة فى عقل قائدك ، لن يوجد ما يمكن أن يمنعنى عن انتزاع قلبك من بين ضلوعك ، كآخر متعة أقوم بها ، قبل أن تفنى الأرض .

وغاصت يده فى صدر (أكرم) ..

وشهق عضو فريق (نور) ، شهقة قوية عنيفة ..

شهق مع تلك القبضة الباردة كالثلج ، التى أمسكت قلبه ..

واعتصرته ..

و ...

« (س - ١٨) ... » ..

أطلق (نور) الصرخة فجأة ، بكل ما يملك من قوة ، وكل ذرة فى كيانه ترتجف ، كما لم يحدث أبدًا من قبل ..

ثم استدار نحو العملاق الوهمى الهائل ..

العملاق ، الذى شعر بقوة عقلية هائلة ، تجتاح خلايا مخه المزدوج كلها ، فى آن واحد ..

قوة جعلت جسده الوهمى يتلاشى دفعة واحدة ..

مع تلك القبضة الباردة كالثلج ، التى أوشكت على انتزاع قلب (أكرم) من صدره ..

وشهق (أكرم) مرة أخرى ..

شهق ..

وشهق ..

وشهق ..

أما قلبه ، فقد انتفض بين ضلوعه كطير مبتل ، على نحو جعله يلهث فى عنف ، ويسقط على قدميه ، ورأسه كله يدور فى عنف ..

وأمام عينيه الزائغتين القائمتين ، رأى صورة العملاق الوهمى تتجسد مرة أخرى ، وهو يواجه (نور) بزمجرة وحشية رهيبة ، هاتفًا :

- هو صراع عقول إذن .

شد (نور) قامته فى قوة ، وهو يجيب :

- نعم .. هو كذلك .

أجابه العملاق الوهمى فى غضب :

- لو تصورت أن اتحاد عقولهم ، مع طاقة زميلك السابق داخلك ، يمكنهم هزيمة عقلى ، فأنت واهم .. حتى ذلك الأطلنطى الآلى ، لن يمكنه إنقاذك منى .. إننى المنتصر الأول دائمًا ، فى صراع العقول .

أطلق (نور) كل الطاقة المختزنة فى عقله ، وهو يقول :

- (س - ١٨) لديه مهام أكثر أهمية .

ثم اعتصر كل ما تبقى ، مستطردًا :

- ودعنا نحن نرى المعركة يا وغد العقول .

زمجر العملاق الوهمى مرة أخرى ، وهو يصرخ :

ـ فليكن أيها المقتحم .. سأمزق عقلك إربا .. سأسحق كل خلية ، من خلاياه الرمادية والبيضاء .. وسأفعل هذا قبل مرور الثوانى الثلاثين ، التى تبقت من عمر الأرض .

أنهى صرخته بزمجرة وحشية رهيبة أخرى ، قبل أن يطلق بدوره كل طاقات عقله ، نحو عقل (نور) ..

وانتفض قلب (أكرم) بين ضلوعه مرة أخرى بمنتهى العنف ..

فها هو يشهد الجولة الأخيرة فى صراع العقول الرهيب ..

المعركة الفاصلة ، التى ستحسم مصيره ومصير (نور) ..

بل مصير الأرض والبشر ..

كل البشر ..

* * *

٨ ـ الختـــام ..

فجأة ، تشكلت صورة (نور) ، أمام (س ـ ١٨) ، وهو ينطلق عائدًا إلى الأرض ..

تشكلت على نحو مباغت ، جعل الأطلنطى الآلى يتوقف فى الهواء ، ويستنفر كل أجهزته ، فى محاولة لاستيعاب هذا الموقف ، الذى لا تحوى برامجه أية سوابق مسجلة له ..

وقبل أن يكتمل تحليله للموقف ، سجلت أجهزته صوت سيده ..

صوت (نور) ، وهو يقول فى حزم :

ـ أوقف الخطة (خطر ـ ٣) يا (س ـ ١٨) .

ومع القول ، الذى بدا واضحًا جليًا ، تدفقت إلى برنامج (س ـ ١٨) كل المعلومات والأرقام والبيانات ، الخاصة بخطة الفناء الشامل ..

لم يكن هناك مصدر واضح لكل هذه المعلومات ..

ولكن الصوت كان صحيحًا ، كما أكدت كل الأجهزة ..

كان صوت (تور) ..

سيده الوحيد (تور) ..

وبصوته الآلى الجاف ، ردد (س ـ ١٨) العبارة الوحيدة ، المسجلة داخله ، بكل لغات الدنيا :

ـ (س ـ ١٨) فى خدمتك يا سيدى .

ثم انطلق ..

انطلق بكل الطاقة ، التى زوّد بها بطارياته ، من سجن القمر ..

انطلق نحو هدف واحد واضح ، حددته برامجه بدقة ، بعد أن حللت بسرعة خرافية ، كل ما تدفق إليها من بيانات ومعلومات ، وأرقام دقيقة واضحة ..

كان العد التنازلى يشير إلى سبع وعشرين ثانية ..

ست وعشرون ..

خمس وعشرون ..

وزاد (س ـ ١٨) من سرعته أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

لم ينطلق نحو الأقمار الصناعية ، التى تحمل مدافع الليزر القوية ، والتى تم تصويبها إلى الأهداف الرئيسية ، فى (أوروبا) و (أمريكا) و (الصين) ..

ولم ينطلق نحو قواعد الصواريخ النووية ، الموزعة عبر البلاد ..

أو حتى نحو منصات مدافع البروتون ..

لقد انطلق نحو بقعة شبه خالية ، من المنطقة المتاخمة للصحراء الغربية الواسعة ..

بقعة أقيم فوقها مبنى صغير ، من طابق واحد ..

وبسرعة خرافية ، وقوة جمعت كل طاقاته ، انقض (س ـ ١٨) على ذلك المبنى الصغير ..

عشرون ثانية تبقت ..

تسع عشرة ..

ثمان عشرة ..

واخترق (س ـ ١٨) المبنى ..

واخترق الأرض تحته أيضًا ..

وبكل قوته ، راح (س - ١٨) يحفر ..

ويحفر ..

ويحفر ..

عشر ثوان فقط ..

تسع ..

ثمان ..

وتوصل (س - ١٨) إلى الكابل الرئيسي ، الذي ينقل بيانات العد التنازلي الرقمية ، إلى كل المواقع ..

وبطلقة ليزرية مركزة من عينيه ، شق (س - ١٨) ذلك الكابل الرئيسي ، قبل ثوان خمس فحسب ، من لحظة الصفر ..

وتوقف العد التنازلي دفعة واحدة ..

وفي كل مواقع الإطلاق ، وعبر أجهزة الكمبيوتر ، تلقت كل الأسلحة المتأهبة والمتحفزة رسالة واحدة واضحة ..

« تم إيقاف تنفيذ (خطر - ٣) ، لحين صدور أوامر أخرى » ..

ومع تلك الرسالة ، سرت قشعريرة في جسد أركان حرب وزير الدفاع ..

وفي وقت واحد تقريبًا ، تنفس الجميع الصعداء ، وحمدوا الله (عز وجل) ، على توقف تلك المذبحة البشرية الرهيبة ، قبل أن تبلغ مرحلة التنفيذ اللارجعية ..

* * *

ذلك العملاق الوهمي وحده ، أطلق زمجرة ثائرة غاضبة ، حملت كل وحشيته وشراسته ، وهو يصرخ :

- لا .. لن تربح المعركة أبدًا يا (نور) .. حتى رجلك الأطلنطي الآلي لن يجعلك تربحها ..

ارتجف قلب (أكرم) بين ضلوعه ، وتراجع في حذر زائد ، محاولاً بلوغ أسطوانة الإطفاء الكبيرة في ركن القاعة ، مستغلاً تلك المواجهة العقلية الرهيبة ، بين (نور) ، وذلك المخ المزدوج الرهيب ..

وكان من الواضح أن (نور) يعاني كثيرًا من هذه المواجهة ..

لقد ظل جسده في مكانه ، إلا أنه راح يرتجف بمنتهى القوة ، ووجهه يشحب على نحو عجيب ، و ...

« إرادتك يا (نور) .. »

تردّد القول في أعمق أعماقه ، بصوت زميله (محمود) ، وانبعثت طاقة إضافية في كيانه ، وهو يتابع :

- ربما تتفوق عليك قواه العقلية يا (نور) ، ولكنه لن يهزم إرادتك أبدًا .. أبدًا يا (نور) .. لهذا انتخبوك من بين الجميع يا (نور) .. قواك العقليـة تتضاعف كثيرًا ، عندما تمتزج بإرادتك الفولاذية .

استنفر (نور) إرادته ، وهو يواجه ذلك المسخ الرهيب ، بكل الطاقة ، التي منحه إياها (محمود) ، وأضافتها إليه عقول مئات من رهبان (التبت) ..

وفي أعماق أعماق عقله ، بدا له وكأن خلايا مخه تذوب ..

وتذوب ..

وتذوب ..

« لا تدعه يهزمك يا (نور) .. إنها المعركة الحاسمة .. لو انتصر سيبقى ، وسيعيد بناء كل شيء .. الخطر سيستمر يا (نور) .. اهزمه .. اهزمه بإذن الله (سبحانه وتعالى) يا (نور) .. »

تردّد صوت (محمود) مرة أخرى في أعماقه ، فاستنفر (نور) كل إرادته ..

استنفرها أكثر وأكثر ..

ولكن ذلك العملاق كان يجند كل طاقاته العقلية الرهيبة ..

وكان يطلقها كلها نحو عقل (نور) ..

ومخه ..

وكيانه كله ..

و ...

« مت أيها الوغد ... » ..

صرخ بها (أكرم) ، وهو يهوى بأسطوانة الإطفاء القويـة ، على ذلك الوعاء الزجاجي السميك بكل قوته ..

ولكن الزجاج لم يتحطّم من الضربة الأولى ..

كل ما حدث هو أن العملاق قد استدار إليه ، بكل غضب الكون ، وأطلق صرخة وحشية ..

صرخة أطارت أسطوانة الإطفاء معها ، من يدى (أكرم) ، قبل أن يطير جسده كله ، ويرتطم بالجدار ، ثم ترتطم به الأسطوانة بمنتهى العنف ..

وتأوه (أكرم) في ألم، وهو يسقط أرضًا، و..

«الآن يا (نور) .. الآن ..» ..

تردد الهتاف في أعماق (نور)، في نفس اللحظة، التي تشبث فيها ذلك المخ المزدوج لحظة، للدفاع عن كيانه.

وانطلقت كل طاقات (نور) ..

طاقات عقله ..

وإرادته ..

وحبه لوطنه وكوكبه ..

كل هذا استجمعه في انقضاضة عقلية واحدة، حوت كيانه كله تقريبًا ..

وارتج ذلك المخ المزدوج في عنف ..

ارتج، وكأنه لا يصدق أنه يواجه هذه الطاقة الرهيبة، من شخص واحد .. ولثانية أو اثنتين، توقفت موجاته العقلية كلها ..

وبسرعة خرافية، وإرادة من فولاذ، وثب (نور)، يلتقط أسطوانة الإطفاء، التي سقطت من (أكرم)، ثم انقض بها على ذلك الوعاء الزجاجي السميك، صارخًا:

ـ الآن مت.

وبقوة جمعت كل ما منحه إياه مئات العقول، هوى (نور) بالأسطوانة المعدنية الثقيلة، على الوعاء السميك ..

وفي موقعه، خيّل لـ (أكرم) أنه قد سمع صرخة هائلة ..

صرخة رعب وذعر وارتياع، تحمل ذلك الصوت، الذي طالما مقته ..

صوت ذلك المسخ الرهيب ..

وبمنتهى العنف، تحطم الوعاء الزجاجي السميك، وتطايرت أجزاؤه عبر القاعة الكبيرة، وتدفق ذلك السائل الحيوي، المحيط بالمخ المزدوج، ليسيل على أرضية القاعة ..

ومرة أخرى، سمع عقل (أكرم) صرخة المسخ ..

سمعها، و (نور) يرفع الأسطوانة مرة أخرى، ثم يهوي بها عليه ..

وكان المشهد بشعًا بحق، عندما هوت الأسطوانة الثقيلة على المخ المزدوج، لتمزقه وتسحقه، وتطحن خلاياه ببعضها ..

وفي هذه المرة، لم يسمع عقل (أكرم) أية صرخة ..

لقد توقفت صرخات خصمهم الرهيب ..

إلى الأبد ..

وفى آلية عجيبة ، تراجع (نور) ، ووقف على مسافة متر واحد من ذلك المخ المزدوج ، وتطلّع إليه بعينين جامدتين ، خاويتين ..

وعلى الرغم من فرحته العارمة ، وجد (أكرم) نفسه يتقدّم فى شىء من الحذر :

ـ رباه ! لقد فعلتها .. لقد هزمت هذا الوغد الحقير يا (نور) .. لقد فعلتها يا صديقى .

ظلّ (نور) ثابتًا فى مكانه ، يتطلّع إلى ذلك المخ الممزّق بنفس النظرة الخاوية ، و ...

وفجأة ، اشتعلت النيران فى المخ ..

لم يدر (أكرم) مصدرها ، إلا أنها قد اشتعلت بغتة ، فى كل خلية تبقت منه ، وراحت تلتهمه فى سرعة مدهشة ..

وبنفس الجمود العجيب ، وقف (نور) يراقب النيران ، حتى التهمت خلايا المخ عن آخرها ..

وعندئذ ، ودون أية مقدمات ، هوى (نور) كالحجر ، كما لو أنه مجرّد جثة هامدة ، خلت تمامًا من كل أثر للحياة ..

وبكل لوعة الدنيا ، صرخ (أكرم) ، وهو يندفع نحوه :

ـ لا .. لا يا (نور) .. لا ..

كان (نور) باردًا كالثلج ، جامد الملامح ، يحدّق فى الفراغ بعينين خاويتين ، وأنفاسه تتردّد فى ضعف وبطء شديدين ..

وبكل هلعه ، احتواه (أكرم) بين ذراعيه ، وهو يصرخ :

ـ لا ليس (نور) .. ليس (نور) .. النجدة ..

كان قلبه يتمزّق بين ضلوعه فى عنف ، وهو يصرخ طالبًا النجدة ، من أجل قائده وأصدق صديق عرفه عبر عمره كله ..

وكان من الواضح أن صراع العقول الرهيبة ، الذى خاضه (نور) ، من أجل الأرض ، فى معركته الحاسمة الأخيرة ، قد استنزف كل طاقته البشرية ..

كلها بلا استثناء ..

وحتى آخر قطرة ..

* * *

ران هدوء عجيب مهيب ، على تلك القاعة الخاصة ، فى المستشفى العسكرى ، حيث رقد (نور) ..

كان ساكنًا تمامًا ، على فراش صغير ، وقد اتصلت برأسه وجسده عشرات الأجهزة الرقمية الحديثة ، ووسائل الإعاشة الصناعية المتطوّرة ..

وبكل مرارة الدنيا ، بكت (سلوى) أمام المشهد ، وهى تقول :

ـ رباه ! ماذا أصابك يا (نور) ؟! ماذا أصابنا جميعًا ؟! لقد حطمتنا هذه المواجهة ، كما لم تفعل أية مواجهات سابقة .

ربت الدكتور (حجازى) على كتفها ، قائلاً فى حزن :

ـ لقد أنقذتم الأرض مرة أخرى يا بنيتى ، وهذا يستحق كل التضحية .

قالت فى مرارة ، ودموعها تغرق وجهها :

ـ لقد خسرت ابنتى ، وزوجها ، وزوجى أيضًا .. إنها تضحية كبيرة للغاية يا دكتور (حجازى) .. تضحية تفوق قدرتى على الاحتمال .

أومأ برأسه متفهمًا ، وهو يقول مشفقًا :

ـ (رمزى) و(نشوى) حالتهما مستقرة ، وربما يعودان إلى العمل ، خلال شهرين أو ثلاثة على الأكثر .

سألت ، ودموعها تنهمر أكثر وأكثر :

ـ وماذا عن (نور) ؟!

شعر (أكرم) بغصة فى حلقه ، منعته من نطق حرف واحد ، وانهمرت دموعه التى حبسها عن عينيه ، فى أعمق أعماق قلبه ، وهو يتطلع إلى (نور) فى أسى ، فى حين أجاب الدكتور (حجازى) :

ـ الأطباء عاجزون عن تشخيص حالته ، حتى هذه اللحظة يا بنيتى .. معدلاته الحيوية كلها منخفضة ، إلى حد يكفيه بالكاد للبقاء على قيد الحياة ، أما نشاط مخه ، فيكاد يكون متوقفًا ، لولا المنحنيات الضعيفة ، التى يرسمها رسام المخ الرقمى .. إنها حالة أشبه بغيبوبة عميقة للغاية .. أو كأنه لم يعد ينتمى إلى عالمنا .

سألته ، وهى تبكى بدموع ملتهبة :

ـ هل تعتقد أن لهذا علاقة بذلك الخبر ، الذى تحدثت عنه وكالات الأنباء عن الغيبوبة العميقة ، التى أصابت رهبان التبت ، فى كل أنحاء العالم ..

هزّ الدكتور (حجازى) كتفيه ، قائلاً :

ـ لست أدرى يا بنيتى .. الرهبان استعادوا وعيهم ، بعد بضع ساعات من سقوطهم فى غيبوبتهم الجماعية المفاجئة ، ولكن (نور) لم يفعل ..

سألته بكل المرارة :

ـ ومتى سيفعل ؟!

هز كتفيه مرة أخرى ، دون أن يجيب ، فانهمرت دموعها أكثر وأكثر ، وتضاعفت تلك الغصة فى حلق (أكرم) ، ودموع قلبه تلهب عروقه ، وهو يهتف فى أعماقه .

« ستعود يا صديقى .. ستعود إلينا يومًا ما ، بإذن الله ـ سبحانه وتعالى ـ .. وسأنتظر عودتك .. سأنتظرك دومًا يا صديق العمر .. » ..

لم تكن عبارته قد اكتملت فى أعماقه ، عندما سمع شهقة العاملين فى قسم الطوارئ القصوى ، فاستدار مع (سلوى) والدكتور (حجازى) فى سرعة ، قبل أن تهتف هى ، فى لهجة امتزجت فيها الفرحة بالدهشة :

ـ (س ـ ١٨) ؟!

كان (س ـ ١٨) يقف خلفهم تمامًا ، متطلعًا بعينيه الحمراوين إلى سيده الوحيد ..

إلى (نور) ..

وفى حماس حقيقى ، هتف الدكتور (حجازى) :

ـ (س ـ ١٨) !! لايمكنك أن تتصور مدى سعادتى بعودتك إلينا .

لم يبد على (س ـ ١٨) أنه قد سمع عبارته ، وهو يتقدم فى آلية ، ليقف ملاصقًا تمامًا للحاجز الزجاجى ، الذى يفصلهم عن (نور) ..

وعلى الرغم من سعادته لرؤيته ، لم ينطق (أكرم) بحرف واحد ..

فقط تطلّع إليه ، وهو يراقب (نور) فى اهتمام ..

وفى داخل (س ـ ١٨) ، راحت أجهزته تدرس هذا الموقف ..

موقف (نور) ، الراقد وسط كل هذه الأجهزة ..

وبسرعة ، استوعب الأمر كله ..

استوعب أن سيده يرقد هناك ، فى غيبوبة بالغة العمق ..

غيبوبة ، تشير كل الأجهزة المحيطة به ، إلى أن نهايتها أمر لايمكن تحديده أو التنبؤ به أبدًا ..

« هل سيعود يا (س ـ ١٨) ؟! »

هتفت (سلوى) بالعبارة فى لهفة ، وكأنها تنشد الجواب لدى الأطلنطى الآلى ، فغمغم الدكتور (حجازى) :

ـ إنه مجرد شخص آلى يا بنيتى .

تمتم (أكرم) بصوت متحشرج :

ـ إننى أثق فيه تمامًا ..

وتردد لحظة ، قبل أن يضيف :

ـ كصديق .

أما (س ـ ١٨) ، فقد استدار فى هدوء ، واتخذ وقفة قوية ثابتة ، إلى جوار باب قاعة (نور) الطبية ، كما لو كان حارسًا خاصًا ، وهو يردد العبارة الوحيدة ، المسجلة داخله :

ـ (س ـ ١٨) فى خدمتك يا سيدى .

فمع ما أكدته كل أجهزته الداخلية ، كان عليه أن يؤدى مهمة أساسية طوال الوقت القادم ..

حماية سيده ..

وحتى يستعيد وعيه ..

مهما طال الزمن ..

وبالنسبة إليه ، كانت هذه مهمة خاصة جدًا ..

فمن بين كل العمالقة ، الذين تولى خدمتهم ، عبر آلاف السنين ، كانت أجهزته كلها تؤكد أن (نور) أفضلهم ..

وأعظمهم ..

وآخرهم ..

آخر أسياده ..

وآخر العمالقة .

* * *

تمت بحمد الله

آخر العمالقة

• ما مصير (نور) و (أكرم) ، بعد أن وقعا فى قبضة المخ الرهيب ؟!

• كيف سيتمكن الفريق ، من مواجهة ذلك الخصم الذى امتلك السيطرة على كل العقول

• ترى من ينتصر فى هذه الجولة الأخيرة ، ومن يصبح فى النهاية (آخر العمالقة) ؟!

• اقرأ التفاصيل المثيرة ، وقاتل مع (نور) وفريقه معركتهم الأخيرة .. من أجل الأرض ..



المؤسسة العربية الحديثة



د. نبيل فاروق

ملف المستقبل

سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمى



مطابع